علي القاضي

وظيفة المرأة المسلمة

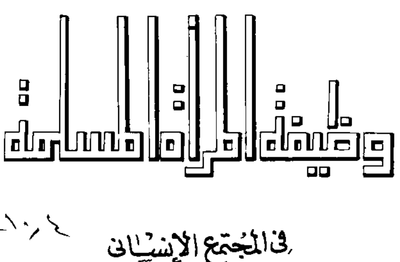
في المجتمع الإنساني





وظيفة المرأة المسلمة
فى المجتمع الإنسانى





في المجتمع الإنساني

علي القاضي



١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
الطبعة الأولى



دار القلم للنشر والتوزيع
الكويت - شارع السور - عمارة السور - الطابق الأول - شقة ٨
ص.ب : ٢٠١٤٦ - هاتف : ٢٤٥٧٤٠٧ - ٢٤٥٨٤٧٨ - برقيا : توزيعكو

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

لقد غزانا الاستعمار بجيوشه – كما غزانا بأفكاره – ووضع الخطة ليحيط بنا من جميع النواحى فلا نستطيع فكاكا – نعم لقد وضع الخطة الكاملة المتكاملة لذلك – حتى أصبحنا كما قال الفيلسوف الجزائرى المسلم مالك بن نبى : « كمن يسكن بناية من طوابق كثيرة ونظر سكان الأدوار العليا – فإذا بحريق يشب فى أسفلها فلا يدرون ماذا يفعلون ؟ فألقوا بأنفسهم من أعلى إلى أسفل – فإذا بالنار تحيط بهم – وإذا بهم فى حيرة كبيرة » ثم قال : النار هى الحضارة الغربية .

وكان للمرأة المسلمة نصيب كبير من مخططهم وتحت اسم حقوق المرأة وتحت اسم : مساواة المرأة بالرجل بدأ الغزو الفكرى من نواح متعددة – فهم يتهمون الإسلام بأنه لا يعطى للمرأة حقوقها ... وأنه يحبسها فى عقر دارها ... وأنه لا يسمح لها بالتصرف فى أى شىء وهم فى ذلك يخلطون بين الإسلام وبين العادات والتقاليد التى ابتليت بها بعض المجتمعات الإسلامية .

ومرة أخرى يتهمون الإسلام بعدم محافظته على الأسرة لأنه أباح الطلاق وتعدد الزوجات – وهم فى ذلك ينظرون نظرة بشرية سرعان ما ظهر بطلانها فإذا بهم يغيرون ويبدلون ... ومرة ثالثة يَتَّهِمُون ويَتَّهَمُون ...

ومرت فترات طويلة – كنا فيها فى دور المستقبل لا المرسل فكنا نظن أن ذلك كله حق ، وقام بعض أدبائنا ومفكرينا يحملون دعوة الغرب بشأن المرأة وكأنها مسلمات وأخذوا يرددون أقوال الغرب ويؤكدون على صحة هذه المفاهيم وعملوا جاهدين على خروج المرأة من البيت ودخولها إلى ميدان العمل بحجة : المساواة بين الرجل والمرأة ، وإعطاء المرأة حقوقها ، وعدم تعطيل نصف المجتمع عن العمل والإنتاج .

وهذه نظرة مادية صرفة – لأن تربية العنصر البشرى وهى وظيفة المرأة التى خلقت من أجلها أثمن من أى شيء فى هذه الحياة ..

ورأى الغربيون أن المرأة المسلمة المتعلمة هى أطوع إليهم من غيرها ، لأنهم ربوها على هذه المفاهيم فساعدوها على إنشاء الجمعيات النسائية والصحافة النسائية وقامت كلها بحمل رسالتها التى أرادتها لها الحضارة الغربية ..

وهذا الكتاب إنما هو محاولة لإبراز وظيفة المرأة فى المجتمع الإنسانى كله – كما هيأتها لها الفطرة – وذلك على أساس علمى مأخوذ من الثقافة الغربية .

فى الفصل الأول :

دراسة تبين أن المرأة مختلفة عن الرجل فى كل ناحية من نواحيها البيولوجية والفسيولوجية والعقلية والسيكلوجية وغيرها – إلى درجة أن العالم الكبير الحائز على جائزة نوبل الدكتور الكسيس كاريل يقول

فى كتابه الإنسان ذلك المجهول : « كل خلية فيها تنطق بأنها أنثى »

فى الفصل الثانى :

تناولت الدراسة أهمية الرضاعة الطبيعية للطفل وللأم معا – ذلك لأن المرأة العاملة بدأت فى ترك الرضاعة الطبيعية – حتى تتفرغ لوظيفتها الجديدة – وحتى تحافظ على جمالها ورشاقتها – وبينت الدراسة أثر ذلك على الأطفال من النواحى الجسمية والعقلية والنفسية وأثر ذلك أيضا على الأطفال وعلى المجتمعات بصفة عامة – وتحدثت عن المؤتمرات المختلفة التى عقدت على مستوى الدول العربية وعلى مستوى هيئة الأمم المتحدة .

كما بينت الدراسة المؤامرات التى تحاك لأطفال العالم الثالث :

– فهم مرة يركزون على أهمية الرضاعة الصناعية ليكسبوا من وراء ذلك الأموال الطائلة ..
– ومرة أخرى يأخذون لبن الأم الطبيعى ليغذوا به أطفال الغرب .. وهكذا .

وفى الفصل الثالث :

دراسة عن المساواة بين الرجل والمرأة فى الحياة الغربية المعاصرة وأثر ذلك فى : الأطفال – وعلى المرأة – وفى تخلخل الأسر– وحتى المساواة بين الرجل والمرأة – إنما هى مساواة زائفة والمرأة تدفع ثمن ذلك كله غاليا فالأمراض الجسمية والنفسية أصابت المرأة من جراء هذا الانحراف فى الفطرة – وهذه المساواة بدأت فى إظهار جنس

ثالث فى طريقه إلى الظهور .

وبدأت هذه المتاعب تنتقل إلى حواء العربية – عن طريق الاكتئاب النفسى وزيادة معدلات الجريمة إلى جانب الأمراض المختلفة التى أصابت الأطفال والتخلخل الذى أصاب الأسر .

وفى الفصل الرابع :

تتناول الدراسة إدراك المرأة الغربية للمخاطر التى أحاطت بها وبزوجها وأسرتها ومجتمعها – فبدأت تستجيب لنداء الفطرة وتطالب بالعودة إلى المنزل وبحمل رسالتها الأصلية – وهى تربية الأجيال وبعث الهدوء والسكن والاطمئنان فى البيت ... وقامت جمعيات نسائية تطالب بذلك وتركت سيدات الوظيفة للتفرغ إلى البيت – كما ينت ما تفعله المرأة اليابانية .

وكيف تغبط المرأة الغربية المرأة العربية لاستقرارها فى بيتها وجعل الرجل هو المسئول عن البيت والقوام على الأسرة .

وفى الفصل الخامس والأخير :

حديث قصير عن المرأة فى الشريعة الإسلامية ... والمقصود منه إتمام الدراسة من جانبها الإسلامى بصفة عامة ومن هذه الزاوية ، ذلك لأن هذا الموضوع به كتابات كثيرة متنوعة ومفصلة .

فإذا وفقت فى ذلك فالفضل لله وحده وهو على أى حال .. جهد العقل وعلى الله قصد السبيل ..

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾

على القاضى



الفصل الأول

الفروق المختلفة بين الرجل والمرأة

تمهيد :

الحديث حول وظيفة المرأة فى المجتمع الإنسانى يطول ويطول - وتختلف الآراء فيه من جيل إلى جيل ومن مجتمع إلى مجتمع .

ولقد مرت بنا فترات طويلة - كنا نظن فيها أن وظيفة المرأة مساوية لوظيفة الرجل تقريبا - حتى كاد أن يكون هذا من المسلمات فى المجتمع الغربى - وبالتالى فى المجتمعات المقلدة له أو التى أخذت ثقافتها عنه ، وأصبح الإيمان بذلك دليلا على التمدن والحضارة ، وماعداه دليل على التخلف والرجعية ، وعدم الفهم لتطورات الزمن .

وهذا أخذ للأمور من زاوية واحدة، وما زال الغربيون يكررون ويعيدون هذه المعانى حتى صدقها المقلدون ، ثم ما زالوا يكررونها حتى صدقوها هم أنفسهم .

وترتب على هذا توحيد مناهج التعليم للفتيان والفتيات فى جميع المراحل ، كما ترتب عليه اشتراك المرأة فى جميع الوظائف والأعمال الخارجة عن البيت ، وبالتالى - ترتب عليه أيضا ترك المرأة لوظيفتها الأصلية التى خلقها الله لها ، وهى تربية الأجيال - وبدأ الأطفال يتربون فى دور الحضانة والمستعمرات وما إلى ذلك .

ولقيت البشرية من وراء ذلك - متاعب لا حصر لها حين شب هؤلاء الذين لم تربهم أمهاتهم وخرجوا إلى المجتمعات بأمراض جسمية وأمراض نفسية ، وسببوا للمجتمعات متاعب لا حصر لها وألوانا من المشكلات التى يحاولون أن يخففوا من حدتها ، وأن يوجدوا الحلول لعلاجها .

ثم بدأ جنس ثالث فى طريقه إلى الظهور - لأن المرأة حين تخلت عن وظيفة الأمومة - بدأت تضمر فيها هذه الخصائص ، حتى أصبح من المتوقع ظهور جنس ثالث تضمر فيه خصائص الأنوثة التى رسختها الممارسة الطويلة لوظيفة حواء .

وبدأ العلم الغربى يعطينا بأبحاثه معلومات جديدة تفيدنا فى بيان حكمة الإسلام فى تشريعاته والله سبحانه وتعالى الذى خلق الإنسان هو الذى شرع له - وهو أدرى به وباحتياجاته وليس من حق أحد أن يشرع للبشرية - إذ إن علمه قاصر على زاوية واحدة .

وقد كشف العلم الحديث فروقا متنوعة بين الرجل والمرأة فى التكوين البيولوجى والفسيولوجى والنفسى وغير ذلك - مما يدل على أن لكل منهما وظيفة فى الحياة - وإن كانت وظيفة كل منهما متممة لوظيفة الآخر .

الفروق البيولوجية :

والفروق الموجودة بين الرجل والمرأة تبدأ فى وقت مبكر جدا - بل إنها تبدأ قبل الحمل - ويظهر ذلك فى الفرق الموجود بين

الحيوان المنوى للذكر وبويضة الأنثى والسؤال الذى طرحه العالم الأمريكى دكتور شبنلر على نفسه وعلى أعوانه هو :

« هل الكائنات الدقيقة التى تسمى علميا (الحيوانات المنوية) أو بذور الحيوان للإنسان - كما يسميها الدكتور شبنلر نفسه - هل هذه الكائنات المنوية التى تنطلق نحو البويضة لها نفس الطبيعة ؟

ومن المعروف أن الكائنات التى تحمل الكروموزوم x إذا لقحت البويضة جاء المولود أنثى - وإذا كانت تحمل معها الكروموزوم y جاء المولود ذكرا .

وأخذ العالم وأعوانه يفكرون لماذا يسبق الكروموزوم x الكروموزوم y فى سباق الحياة أو العكس ؟ هل يحدث هذا عفواً حسب الظروف ؟ وإذا كان الأمر كذلك - فهل بينهما اختلاف فى التكوين البيولوجى ؟

وبعد أبحاث طويلة وجد العالم وأعوانه أن الكروموزوم x الذى ينتج الأنثى - يتميز بأنه يتجمع جنبا إلى جنب وبأنه بطىء الحركة وإن كان أكثر تحملا للبيئة ، ولذلك يعيش مدة أطول - كما أنه ينتعش ويزداد حيوية إذا وجد فى المواد الحمضية - أما الكروموزوم y الذى ينتج الذكر فإنه يتمتع بسرعة الحركة والحيوية الشديدة ، ويزداد حيوية وانتعاشا - إذا وجد فى المناخ القلوى ولكنه أقل تحملا لظروف البيئة - ويموت بسرعة .

ويوضح العالم الفاضل - دور كل من الأبوين فى تكوين البويضة فيقول : « إن الأب والأم يسهمان بقدر متساوٍ فى تكوين البويضة التى تولد كل خلية من خلايا الجسم الجديد - لكن الأم تهب علاوة على نصف المادة المنوية - كل البوتوبلازم المحيط بالنواة .

وهكذا يتضح منذ البداية الفرق بين بويضة الذكر وبويضة الأنثى فى خصائص كل منهما - كما يتضح مقدار إسهام كل من الأبوين فى تكوين الجنين .

ومن ناحية أخرى يبين لنا الدكتور الكسيس كاريل - الحائز على جائزة نوبل للعلوم - الفرق بين الرجل والمرأة فى كتابه « الإنسان ذلك المجهول » فيقول : (إن الأمور التى تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد فى الأشكال الخاصة بأعضائها الجنسية والرحم والحمل - وهى لا تتحدد أيضا فى اختلاف طرق تعليمهما - بل إن هذه الفوارق ذات طبيعة أساسية نابعة من اختلاف نوع الأنسجة فى جسم كل منهما كما أن المرأة تختلف عن الرجل كليا فى المادة الكيماوية التى تفرز من الرحم داخل جسمها - فكل خلية فى جسمها تحمل طابعا أنثويا - وهكذا تتكون أعضاؤها المختلفة - بل وأكثر من ذلك - فهذا هو حال نظامها العصبى) .

ثم يقول : (إن قوانين وظائف الأعضاء محددة ومنضبطة كقوانين لفلك - حيث لا يمكن إحداث أدنى تغيير فيها إلا بفناء البشرية - وعلينا أن نسلم بها كما هى - دون أن نسعى إلى ما هو غير طبيعى) .

ثم يهتف قائلا : (والذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف بالرجل يجهلون هذه الفوارق الأساسية وعلى النساء أن يقمن بتنمية مواهبهن بناء على طبيعتهن البشرية وأن يبتعدن عن تقليد الرجال) .

ويمضى كاريل فى بيان أثر هذا الاعتقاد فى السير بالمرأة إلى طريق لا يتناسب مع استعداداتها فيقول : (ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة – إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحد أو أن يمنحا سلطات واحدة ومسئوليات متشابهة – والحقيقة أن المرأة تختلف عن الرجل اختلافا كبيرا – فكل خلية من خلايا جنسها تحمل طابع جنسها – والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها ، وفوق كل شيء – بالنسبة لجهازها العصبى – فالقوانين البيولوجية غير قابلة للتغيير – شأنها شأن قوانين العالم الكوكبى – فليس فى الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها ــ فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور – فإن دورهن فى تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال – فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة – ثم بين خصيصة من خصائص الأنثى البشرية فقال : (وعلى أى حال فيبدو أن النساء اللاتى لم يلدن لسن متزنات كالوالدات – فضلا عن أنهن أكثر عصبية منهن) .

ومن العلماء الغربيين الذين كان لهم أثر فى بيان الفروق البيولوجية الأساسية بين الرجل والمرأة عالم يُدعى « بار » وهو أول مكتشف للخاصية التى تتلخص فى أن : خلية الأنثى تحتوى فى طرف منها على

جسم كروى صغير لا يوجد فى خلية الرجل – ثم بدأ بعد ذلك فى كل الخلايا فى الدم والكبد والقلب والأمعاء وباقى الأنسجة فثبتت الحقيقة وهى : أن كل خلية من خلايا الأنثى تتميز عن خلايا الذكر بهذا الجسم الكروى – وأضيفت صفة أخرى للأنوثة غير الصفات العضوية والوظيفية المدونة .

وكان علماء الوراثة قبل ذلك قد كشفوا عن وجود كروموزمين للجنس فى كل الخلايا المذكرة والمؤنثة ــ تحتوى خلية الذكر على كروموزوم x وآخر y – بينما تحتوى خلية المرأة على زوج من كروموزوم x وتصبح علامة الذكر yx وعلامة الأنثى xx – ويقول بار : (إن الجسم الكروى الذى اكتشفه هو أحد الكروموزمين الموجودين فى الخلايا الأنثوية) ولقد أكد ذلك أن الذكور الذين يعانون من تشويه خلقى ووراثى يحملون كروموزمينات جنسية أكثر من المعدل – كأن يحمل أحدهم yxx .

ولقد أثبت علم الأحياء أن المرأة تختلف عن الرجل فى الصورة والسمت والأعضاء الخارجية وفى ذرات الجسم والجواهر الهيولينية (البروتينية) لخلاياه النسيجية – فمن لدن حصول التكوين الجنسى فى الجنين يرتقى التركيب الجسدى فى الصنفين فى صورة مختلفة – فهيكل المرأة ونظام جسمها يركب كله تركيبا تستعد به لولادة الولد وتربيته ومن التكوين البدائى فى الرحم إلى سن البلوغ ينمو جسم المرأة وينشأ ليكمل ذلك الاستعداد فيها ... وهذا هو الذى يحدد لها طريقها فى أيامها المستقبلة .

الوزن والعظم :

أثبتت الدراسات العالمية – التى اتجهت إلى بحث هذه الفروق بين الرجل والمرأة – فى هذه الناحية – : أن الرجل أثقل وزنا وأطول قامة ... وهذا راجع إلى الكثافة النوعية لعظام الرجل – حيث يوجد نوعان من العظام : العظام المحبوكة أو المكتنزة ، والعظام الإسفنجية .

وتمتاز العظام الأولى بصلابتها وشدة تماسكها وذلك لقلة الكالسيوم فيها أو لسوء التوزيع الترسيبى لمكونات العظم وتمتاز عظام الرجل الطويلة بأنها من النوع الأول – فى حين نجد أن النوع الثانى ينتشر عند المرأة أكثر منه عند الرجل – وذلك نتيجة لعوامل طبيعية وفسيولوجية .

وعظام الرجل قوية ومتماسكة نتيجة لكثرة أليافها وقوة شدها – كما أنها تمتاز بالبروز عند نهاياتها وكمية النسيج العضلى عموما عند الرجل أكبر منه عند المرأة – إذ تبلغ نسبته ٤١٪ من فروق جسمه فى حين تبلغ عند المرأة ٣٥٪ فقط .

ونتيجة لطول عظام الأطراف عند الرجل وقصرها عند المرأة – فإننا نجد أن مركز الثقل عند المرأة يعد أكثر انخفاضا – وهذا له تأثير فى الحركة من حيث القوة ... كما أن عمودها الفقرى أكثر انحناء من الرجل وهذا يؤدى إلى ظهور الشيخوخة مبكرة عندها .

وفى منطقة الحوض نجد أن الله سبحانه وتعالى – وهب المرأة حوضا يمتاز باتساعه وضعف أربطته فحرقفتاه متعرجتان إلى الخارج

كثيرا – ومنطقة التحامهما متسعة وذلك لتيسير العملية البيولوجية التى اختصت المرأة بها دون الرجل – فى حين نجد أن حوض الرجل تزداد استطالته ويقل اتساعه وتزداد شدة الربط فى العضلات حوله .

وبالنسبة للصدر : نجد أن صدر المرأة أضيق منه عند الرجل بكثير – وعظام البدن والأكتاف تكون عندها أضعف – وشكلها ليس مستقيما تماما – أما عضلات ذراعيها فهى أضعف بكثير منها عند الرجل ، وجسم المرأة له قابلية أكثر لتخزين الشحم – إذ إن كل جسمها قابل لتجميع الدهون على صورة شحم – فى حين أنه يتجمع فى مناطق معينة عند الرجل فى البطن والردفين ، وتبلغ نسبة الشحم عند الرجل ١٨٪ من وزنه وعند المرأة ٢٨٪ ، ويمكننا أن نلاحظ العلاقة بين النسيج العضلى والنسيج الدهنى .. ومن هنا فإننا نجد أن عضلات المرأة تقل فى القوة عن عضلات الرجل بنسبة ٢٥٪ – كما أن الرجل بمقدوره زيادة قوة عضلاته بممارسة الألعاب الرياضية بنسبة ٨٪ – فى حين أن المرأة لا يمكنها ذلك إلا بمقدار ٤٪ فقط كما أن متوسط حجم المُخ للرجال أكبر بقليل من متوسط حجم مخ النساء .

والفتيات : فى الغالب أقل فى القوة البدنية من الصبيان ، وأعصابهن أكثر تأثرا وأسرع توترا من البنين – ولذا فإنهن أكثر تعرضا للتعب والإجهاد العصبى ... وربما فسر هذا باستنفاد جزء غير قليل من الكالسيوم المختلط بالدم – وهن أقل كفاية لقلة الهيموجلوبين به – مما يجعلهن أكثر تعرضا للأنيميا بعد البلوغ ،

وعند بلوغ سن الخامسة نجد أن معظم الأطفال يكونون على وعى بكثير من أنواع السلوك مع جنسهم – ولو أنك عرضت عليهم سلسلة من الصور التى تعرض أشياء أو أوجه نشاط تتفق مع اللعب التى تتناسب مع النبات – لوجدنا أن الغالبية العظمى فى سن ٣/٥ – يصرحون بأنهم يفضلون الأشياء التى تتناسب مع جنسهم ، ويزداد ذلك خلال سنوات ما قبل الدراسة ــ فالفتيات يفضلن اللعب بالعرائس وأدوات المطبخ والفتيان يفضلون اللعب بالمسدسات ، وهكذا يتجه كل جنس إلى إعداد نفسه إعدادا يؤهله لأداء وظيفته فى مستقبل أيامه .

وفى فترة المراهقة : يتصف النمو الجسمى بالزيادة السريعة المفاجئة ويزيد معدل السرعة فى بدء المرحلة عنه فى نهايتها ، ويتأخر الذكور عن الإناث بعامين تقريبا بالنسبة لبداية هذه التغيرات ، والإناث عادة أطول وأكبر وزناً من الذكور ، والقوى البدنية تتضاعف فى الذكور فيما بين سن ١٢ – ١٥ – والإناث لا يبلغن هذه النسبة ، ويزداد وزن البنت قليلا عند بداية المراهقة أو نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة – ويكون رأس الولد عادة أكبر حجما من رأس البنت فى جميع مراحل النمو تقريبا .

فالنمو الجسمى : أسرع فى البنات – ولذلك فإن الأنثى تشعر بحاجتها إلى اهتمام الذكر – قبل أن يشعر الذكر بحاجته إلى الأنثى ... والبنات فى السنوات الأولى من المراهقة يبدأن فى التكوين بسرعة تفوق سرعة تكوين الذكور ، فتصبح البنت أطول

من زميلها فى نفس السن ، ويتعرض جسمها لتغيرات أوضح ويبرز صدرها وتستدير أردافها .

وتبلغ البنات قبل البنين وبعد البلوغ تقل كمية الهيموجلوبين التى بالدم عند البنات ، ولذلك فإنهن يصبحن عرضة للتعب ، وتقل قدرتهن على مواصلة العمل ... وينتج عن ذلك سهولة تعرضهن للأنيميا والنساء أطول عمرا من الرجل ، وأقدر على مقاومة الكثير من الأمراض المعدية والذكور أقل تعرضا من الإناث للتقلبات التى تعترى، توازن البيئة العضوية الداخلية – أى أنهن أكثر ثباتا فى درجة الحرارة واتزان عمليتى الهدم والبناء ومستوى السكر فى الدم وغير ذلك .

الفروق الفسيولوجية :

ومن الناحية الوظيفية أو الفسيولوجية – فإن أعضاء الجسم تتخذ شكلا يتناسب والاختلافات التشريحية ، فنجد أن كبد الرجل ودمه يحتويان على كمية أكبر من الحديد ، والذى يتحد مع المادة البروتينية ليكون اليحمور الذى اختص بنقل الأوكسجين المستخدم فى الاحتراق وإنتاج الطاقة التى تستخدم فى الحركة والتفكير ، كما نجد أن دم الرجل المدفوع من القلب إلى الجسم فى كل دقيقة يبلغ ٣٢ لترا – فى حين أنه عند المرأة ٢٥ لترا فقط .. وتبلغ نسبة اليحمور الموجود فى دم الرجل ٨٨٠ جراما وعند المرأة ٦٦٤ جراما .. وتبلغ نسبة الأوكسجين المستخدمة فى كل دقيقة ٢٥٠ ميليمترا فى حين

تبلغ عند المرأة ٢٠٠ ميلليمترا أو أقل نتيجة لحجم العمل ، وتقل كفاءة دمها فى نقل الأوكسجين ... وفى ذلك يقول فيروسيه فى دائرة معارفه : (إنه نتيجة لضعف دم المرأة ونمو مجموعها العصبى – نرى مزاجها العصبى أكثر تهيجا من مزاج الرجل ، وتركيبها أقل مقاومة – لأن تأديتها لوظائف الحمل والأمومة والرضاع تسبب لها أمراضا قليلة أو كثيرة الخطر) .

أما مقدار ما يفقده الرجل من الحديد يوميا فى عمليات الامتصاص والإخراج – فيبلغ ٦٪ ملليجرام بينما تبلغ نسبة مقدار فقدان المرأة ١–٢ ملليجرام يوميا فى أثناء العادة الشهرية – ونتيجة لقابلية جسم المرأة لتجميع الشحوم – نجدها أقل حيوية وأكثر عرضة لتصلب الشرايين والجلطة التاجية – كما أن العملية الطبيعية كالعادة الشهرية والحمل والوضع والإرضاع – نجد أن لها تأثيرا عضويا – وذلك لفقدها كميات كبيرة من المواد الغذائية الضرورية فى أثناء هذه الحالات – وهذا يؤدى إلى ضعفها وضعف نشاطها يقول الدكتور درفاينى فى دائرة المعارف الكبيرة : (إن المجموع العضلى عند المرأة أقل منه كالاً عند الرجل وأضعف منه بمقدار الثلث والقلب عند المرأة أصغر وأخف بمقدار ٢٠ جراما فى المتوسط – فالرجل أكثر ذكاء وإدراكاً والمرأة أكثر انفعالاً وتهيجاً) كما يقول نيكوليه فى دائرة المعارف الكبيرة : (إن الحواس الخمس عند المرأة أضعف منها عند الرجل) .

ومن المعروف فسيولوجيا : أن هناك فرقا بين الأحبال الصوتية للمرأة – فهى قصيرة ورقيقة أما فى الرجل فهى طويلة وغليظة .

وقد لاحظ أطباء القلب فى ضيق الصمام الميترالى – أنه يوجد بنسبة أعلى قليلاً فى النساء عنه فى الرجال – وأن أمراض القلب الناتجة عن نشاط زائد فى الغدة الدرقية – تكون نسبة إصابة النساء فيها ثلاث أضعاف إصابة الرجال – وذلك لأن مرض الغدة الدرقية التسممى أكثر حدوثا للنساء لماذا ؟ قال الأطباء : قد يكون للتغييرات الشهرية وتأثير الحمل والولادة والرضاعة أثر فى ذلك .

الفروق السيكلوجية :

ومن الناحية النفسية أو السيكلوجية – نجد أن العاطفة عند المرأة قد بلغت حدا ميز تصرفاتها وشعورها عن نظيرتها عند الرجل – وهذه هبة من الله الذى قدر كل شيء فأحسن تقديره – إذ إن الوظيفة الرئيسية للمرأة هى تربية الأطفال وتنشئة الأجيال – وهذا يتطلب كثيرا من العطف والحنان يعجز الرجل عن توفيره لابنه – ونتيجة لعاطفتها القوية نجدها أكثر حساسية وأكثر تأثرا بالظواهر الطبيعية – فلا تستطيع كظم غيظها عند حدوث مكروه ولا تستطيع التحكم فى سرورها عند الفرح .

كما أن نفسية المرأة أضعف بكثير منها عند الرجل – حيث إنها لا تستطيع حفظ الأسرار – حتى قالوا فيها : إذا أردت إفشاء سرك فبلغه للمرأة – وقالوا : « المرأة التى تحفظ السر ليست امرأة ولذلك قالوا : « الجنس اللطيف »

وقد سأل الباحثون النفسيون أنفسهم سؤالا - كيف يختلف الرجال عن النساء فى استجابتهم للإحباط ؟ وكانت الإجابة : هناك من الشواهد النفسية ما يبين أن النساء على الأقل - كما يصفن أنفسهن فى الاختبارات الشخصية أكثر حساسية وأكثر انفعالية - ويسهل تأثرهن وانخراطهن فى البكاء - إذا قورن بالرجال ... ولقد اتضح أن النساء يبدين فى هذه الاختبارات مخاوف أكثر من الرجال - وأنهن يحصلن على درجات فى القلق أعلى منهم .

ولقد اتضح لفيشر فى بحوثه التى أجراها عام ١٩٦٨م : إن الإناث بصفة عامة يحكمن على الوقائع المضايقة - بأنها مضايقة بدرجة أكبر من الذكور - وفى الوقت نفسه قدر النساء الوقائع السارة باعتبارها ممتعة - بدرجة أكبر من الرجال .. وخلاصة بحثه : أن الخبرة المحبطة تثير النساء بدرجة أكبر من الرجال - ويفرحن بالسار منها بدرجة أكبر .

والمرأة بوجه عام يجذب انتباهها حادثة ما أكثر من فكرة ما - على عكس الرجال الذين يهتمون بعلاقات الأشياء بعضها ببعض أكثر من اهتمامهم بالأشياء ذاتها - واتجاه العقلية النسائية نحو الماديات والمحسات أكثر من المعنويات .

يقول الأستاذ عباس العقاد : « إن المرأة لها تكوين عاطفى خاص لا يشبه تكوين الرجل - لأن ملازمة الطفل الوليد لأمه تستدعى شيئا كثيرا من التناسب بين مزاجها ومزاجه وبين فهمها للأمور وفهمه وبين مدارج حسها وعطفها ومدارج حسه وعطفه .. وذلك أصول

اللب الأنثوى الذى جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة – فيصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكم العقل وتقليب الرأى وصلابة العزيمة » .

ويقول بيرت : « إن انفعالات الرجال أعمق وأطول أثرا من انفعالات النساء – ولكنها أقل ظهورا بعكس النساء اللآتى تظهر عليهن الانفعالات الحادة الفجائية من غير كظم أو إخفاء .. وسرعة تأثر النساء بالانفعالات تجعلهن أكثر تأثرا بالانفعالات والوجدانات – كما أنهن أكثر اكتراثا للمدح والثناء أو التوبيخ – والبنت تستمع للنصح من الرؤساء أو المعلمين وتتقبله من غير معارضة – والصبى يعارض ويناقش ويحاول قبل أن يسلم ويخضع .. والبنت تميل إلى الاقتناع بسرعة – بأشياء لا يقبلها الصبى إلا بعد المناقشة » .

وقد قام بيرت بدراسة على المجرمين وقسم إجرامهم إلى أقسام على أساس الدوافع الغريزية وقال : « إن جرائم الصبيان هى : التشاجر والقسوة على الحيوانات والتشرد – أما البنات فإن جرائمهن هى : الأمور الجنسية والكذب ومحاولة الانتحار » .

ومما هو جدير بالذكر أن المؤلفة السيدة «جان موريس» كانت رجلا – وكان اسمها « جيمس » تزوجت وأنجبت – ثم تحولت إلى أنثى وأخذت تروى مشاعرها بدون خجل – وقد تعرض الكتاب لهجوم من نساء بريطانيا – لأنها انحازت فى كتابها إلى الرأى القائل : بأن المرأة أضعف من الرجل – وأعادت تأكيد الشعار الذى تكرهه

زعيمات النساء « إن قوة المرأة تكمن فى ضعفها وامتيازها يكمن فى نقصها » .

فروق عقلية :

وتثبت الدراسات النفسية أن هناك فروقا فى النواحى العقلية بين الرجل والمرأة – يقول الدكتور جابر عبد الحميد – رئيس قسم علم النفس فى جامعة قطر فى كتابه : « الذكاء ومقاييسه » لوحظ على الدوام أن الذكور يمتازون فى نواحى القدرة الميكانيكية – كذلك يتفوقون على الإناث فى الاختبارات العددية التى تتطلب الاستدلال وتتفوق البنات فى اختبارات الدقة والخفة فى استخدام الأصابع مع الإدراك الكافى للتفاصيل – كما يتفوقون فى القدرة على القيام بأعمال السكرتارية – وأظهر الزمن دائما تفوقا واضحا فى القدرة اللغوية – ويبدأ هذا الفرق فى الظهور فى سن مبكرة ، ويستمر طوال الحياة ، وتمتاز البنات فى معظم اختبارات التذكر .

والصبى فى تفكيره أكثر ابتكارا واستقلالاً فى الرأى ، وأكثر انتباها وحذرا من الأخطاء المنطقية التى تتخلل المناقشة ... وعلى اكتشاف العلاقة التى بين الحقائق أو الظواهر – وهو أدق فى ذلك من البنت – ولكن البنت أكثر منه صبرا – وأكثر أناة فى جمع الحقائق وتبويبها وتصنيفها) .

وقد أجرت إحدى اللجان الإنجليزية عام ١٩٢٢ إحصاء فى امتحانات جامعة « كمبردج » وقارنت نتائج البنين والبنات

-- فوجدت أن الصبيان تفوقوا فى الرياضيات وفى الكيمياء والطبيعة واللغة اللاتينية وقليلا من الجغرافيا الطبيعية -- أما البنات فقد أظهرن تفوقا فى الأدب الانجليزى والإنشاء والتاريخ والجغرافيا واللغة الفرنسية وفى رسم النماذج وتصميم الزخارف .. وأجريت إحصاءات أخرى كانت نتائجها مثل ذلك .

كما أن الإجراءات التى أجراها بيرت وترومان -- أظهرت فروقا هامة بين الجنسين فى النواحى العقلية التى أعطيت لكل من الجنسين -- تفوق الصبيان فى الاختبارات التى تتطلب تعريف شىء ما -- أو إدراك التشابه بين الأشياء أو التعليل الحسابى -- وتفوقت البنات فى الاختبارات التى بها مفردات لغوية أو التى تتطلب إصدار حكم على القيم الجمالية المختلفة .. فالبنون يهتمون بالأفكار أكثر من اهتمامهم بالأشخاص الذين صدرت عنهم هذه الأفكار على عكس الفتيات ، وهم أكثر تقيدا بالاستنتاج المنطقى وخطواته فى أثناء تفكيرهم من البنات اللاتى كثيرا ما يهملن بعض خطوات التفكير -- ويصلن بذلك إلى نتائج خاطئة من جراء التسرع .. أما الحفظ فيلوح لنا أن البنات يفقن البنين ولكن قد يفوقهن الصبيان فى القدرة على تركيز الانتباه وحصره فى موضوع معين .

يقول الدكتور فؤاد البهى السيد « أستاذ علم النفس » بتربية عين شمس فى كتابه « الذكاء » : (تواترت نتائج الأبحاث العلمية والنفسية فى هذا الميدان على تأكيد زيادة النمو العقلى عند الإناث منه عند الذكور حتى المراهقة -- ثم يزداد نمو الذكور عن الإناث خلال فترة

راهقة — ثم تتقارب المستويات العقلية بعد ذلك عند الجنسين
بخاصة فى النواحى العامة التى تدل على الذكاء — ويختلف المدى
قائم فى الفروق العقلية — تبعا لاختلاف الجنس فيزداد عند الذكور
يقل عند الإناث — أى أن الفروق العقلية عند الذكور أوسع وأكبر
نها عند الإناث — ولذا تزداد نسبة العباقرة وضعاف العقول عند
ذكور عنها عند الإناث) .

وقد تحقق من تطبيق قياس « برنوومينز » على عينات من الجنسين
ن الرجال أكثر ثباتا من النساء وأكثر تحملا من النساء وأكثر ثباتا
ند الصعاب واعتمادا على أنفسهم وأقل انطواء وأكثر سيطرة وأكثر
قة فى أنفسهم من النساء .

ومن أبحاث ترومان وميليزلز « أظهر الذكور اهتماما متميزا
المخاطرة وبالمهن التى تتطلب مجهودا بدنيا خارج المنزل وبالأدوات
بالعلوم والظواهر الطبيعية والمخترعات والتجارة — ومن ناحية أخرى
جد أن النساء يهتممن بالمسائل المنزلية وبالموضوعات والمهن التى
دخل فيها التذوق الجمالى وقد فضلن مهنا وأعمالا تتطلب مجهودا
فى داخل المنزل ومهنا تتصل برعاية الأطفال والصغار والضعاف
مساعدتهم .. وقد أظهر الذكور بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تفوقا
ى الثقة بالذات والإقدام وتعبيرا عن عدم الخوف وخشونة فى اللغة
العواطف — أما النساء فقد أظهرن تميزا فى المشاركة الوجدانية
الحساسية الجمالية والانفعالية والتأنق » .

فى الفترات الخاصة :

للمرأة فترات خاصة تمر بها — هى فترات الدورة الشهرية والحمل والولادة والنفاس وهذه الفترات تجعل المرأة فى حالات جسمية ونفسية خاصة .

ففى هذه الفترات – تلاحق المرأة أمراض كثيرة – تكون خلالها مضطربة قلقة لا تتمكن من أن تسير سيراً طبيعياً – وقد استنتج الطبيب نواسكتشنسكى من مشاهداته الدقيقة : أن المرأة تضمحل فيها قوة الجهد العقلى والتركيز الفكرى فى أيام الحيض .

تأثيرات الحيض :

مع بلوغ سن الشباب تفرز الفتاة دم الحيض الذى تتأثر به كل أعضائها ومن ذلك :

١ – ثقل فى جسمها وازدياد خروج الحرارة منه فتنخفض درجة حرارتها فيه .

٢ – اختلال فى النبض وينقص ضغط الدم وتقل عدد خلاياه .

٣ – وتصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدد اللمفاوية أيضا بالتغيير.

٤ – وينقص الاستقلاب الهيوليفى ، ويقل إخراج أملاح الفوسفات والكلوريد من الجسم ، وينحط الاستقلاب الهيوليفى الغازى ويختل الهضم ، ويقل التحام الشحم والأجزاء الهيولينية فى المأكولات مع أجزاء الجسم وتضعف قوة التنفس وتصاب آلات النطق بتغيرات خاصة ويبلد الحس وتتكاسل الأعضاء وتتخلف الفطنة والذكاء وقوة

تركيز الأفكار – وفى كل مائة امرأة لا تحيض إلا ٢٣ – بلا ألم أو وجع – وقد بحث الباحثون أحوال ١٠٣٠ امرأة فوجدوا أن ٧٤٪ منهن كن يقاسين الوجع وغيره من صنوف الأذى أيام الحيض .

ويكتب الطبيب إميل نورك (أن ما يعرض بعهد فى الحوائض عامة من الأعراض هو الصداع والتعب والخلج ومعناه : أن يشتكي المرء عظامه من طول تعب أو مشى – وضعف الأعصاب وتخلف المزاج واضطراب المثانة وسوء الهضم والإمساك أحياناً ، والغثيان والتهوع فى بعض الحالات – وهناك نساء لا يستهان بعددهن يحسسن فى صدورهن وجعا خفيفا – يشتد أحيانا فيشعرون له بضربات عنيفة – وفى بعضهن تتورم الغدد الدرقية فى هذه الأيام مما يسبب فيهن البحة (خشونة الصوت) وكثيرا ما يشعرون بفتور الهضم وجهد التنفس – وقد دل الفحص الطبى الذى قام به الدكتور الطبيب كريجو فى عدد النساء أن نصفهن كن يتعللن بسوء الهضم فى أيام الحيض وبالإمساك فى آخرها .

والأستاذ « لا ينسكى » كتب فى كتابه « نشأة الشخصية » عن المرأة (أن مدة الحيض تحرم المرأة حريتها العملية فهى تكون فى أثنائها تابعة لحركاتها الاضطرارية وتنقصها جدا قوة استكمال إرادتها للإقدام على عمل أو تركه) .

ويكتب « فان دى فلد » فى كتابه « الزواج المثالى » يشرح الآلام التى تلاقيها المرأة قبل الحيض وخلاله فيقول : (أما الأعراض البدنية السائدة فى المرأة قبل الحيض وخلاله فهى الشعور بالتعب والضيق الغامض المبهم ، ويظهر الصداع غالبا فى من اعتدن الصداع فى هذه الفترات ويزداد تدفق اللعاب ويتمدد الكبد ويتضخم ويحدث مغص فى الكيس الصفراوى ويضطرب الهضم كما تضطرب شهية الأكل - فإما أن تحس المرأة بجوع شديد أو تعاف الطعام ، وتصيب حاسة السمع أعراض مشابهة ، وأما أنسجة الجسم العامة فهى تنبسط وتتضخم وترتخى وتحتقن ويكمل وصف الحال شحوب الوجه شحوبا شديدا ، أو احمراره بسرعة من التأثر وظهور تجعدات أو دوائر زرقاء تحت العيون) ... ويقول الدكتور تعليقا على ذلك : لقد ذكرت كل هذه الأعراض بالتفصيل لأظهر أن المرأة الحائض تكاد تكون مريضة - بل هى مريضة بعض المرض ، ويقول الطبيب إميل نورك : « إن ما يعهد من الحوائض عامة من الأمراض هذا الصداع والتعب ووجع العظم وضعف الأعصاب وتخلف المزاج ، واضطراب المثانة وسوء الهضم والغثيان فى بعض الحالات »

ويقول الطبيب جبهارد : « قل من النساء من لا تعتل بعلة فى المحيض ووجدت أكثرهن يشتكين الصداع والتعب تحت السرة ، وقلة الشهوة للطعام ، ويصبحن شرسات الطباع مائلات للبكاء ، ونظراً لوجود هذه العوارض كلها يصح القول : بأن المرأة فى محيضها تكون فى الحق مريضة ، وينتابها هذا المرض مرة فى كل شهر ، وهذه

التغيرات فى جسم المرأة تؤثر لا محالة فى قواها العقلية وفى أفعال أعضائها ، وفى عام ١٩٠٩ استنتج الطبيب فواستشفسكى من مشاهداته الدقيقة : أن المرأة تضمحل فيها قوة الجهد العقلى والتركيز الفكرى فى أيام الحيض .

واستخرج كذلك الأستاذ كرسى شكفسكى من اختباراته النفسية : أن المرأة يلتهب فيها المجموع العصبى فى هذه الأيام ويبلد الحس ويختل ويضعف الاستعداد ، وربما تعطل بالمرة لقبول الانطباعات البدنية مما يجعلها تتخلج – حتى فى أعمالها التى اعتادتها فى حياتها اليومية – فمثل هذه المرأة إن كانت جابية فى الترام أخطأت فى قطع التذاكر ، وارتبكت فى عد الكسور – وإن كانت كاتبة أخطأت فى كتابتها الآلية وتوانت فيها وفاتتها الأحرف على الرغم منها ، ولم توفق فى تركيب الجمل ولم تصب الحرف المقصود بضربة إصبعها ، وإن كانت الحائض طبيبة – لم تنشط فى عملها ولم تجد آلاتها عند الطلب إلا بجهد جهيد منها .

محصل القول : إن الجهاز العصبى والذهنى عند المرأة – يعود فى غالبه متراخيا غير منظم هذه الأيام فلا تكون أعضاؤها تابعة لإرادتها تماما – بل تنبعث من داخلها حركة اضطرارية تملك عليها إرادتها وتعطل قوة حكمها واختيارها ، فتصدر منها الأفعال بدون إرادة ، ولا يعود لها فى أعمالها وتصرفاتها من حرية ، ولا تكون أهلا للقيام بتبعة أو مهمة .

ويكتب الطبيب كرافت ايبنج : إننا نجد فى حياتنا اليومية أن النساء اللاتى يكن لينات العريكة دمثات الأخلاق صناع الأيدى تتغير طباعهن بغتة فور دخولهن فى أيام الحيض – وكأن هذه الأيام تمر بهن مر العاصف الزعزع – يصبحن فيها متفجرات سليطات اللسان شديدات الخصام يشكو سوء خلقهن كل من الخدم والأولاد والأزواج – حتى الأجانب أيضا – لا يسلمن من سوء معاملتهن .

كما يكتب الطبيب وينبرج مستندا إلى مشاهداته فيقول : (إن خمسين فى المائة من المنتحرات اللواتى بحثت أحوالهن – كن قد ارتكبن الجرائم فى أيام الحيض ويرى لذلك : أن من واجب المحاكم حين ترفع إليها قضايا النسوة المراهقات أن تتثبت فيها – لعل إحداهن قد اقترفت الجريمة وهى حائض .

الحمل :

وتمر بالمرأة فترات تؤدى فيها وظيفتها فى بقاء الجنس البشرى وذلك فى أيام الحمل وبعده وهى أيام لها تأثيرها الواضح فى صحة المرأة الجسمية – كما أن لها آثارها فى صحتها النفسية .

كتب الطبيب ريبريف يقول : ربما كان خروج الفضلات من جسم المرأة فى أيام حملها أقل مما يكون فى حالة الفاقة والمسغبة ، فلا تستطيع قواها فى هذا الزمان أن تتحمل من مشقة الجهد البدنى والعقلى ما تتحمله فى عامة الأحوال – وأن عوارض الحمل – إن عرضت لرجل أو امرأة غير حامل تحكم عليه أو عليها بالمرض

– ففى هذه المدة يبقى مجموعها العصبى مختلا لعدة أشهر ويضطرب فيها الاتزان الذهنى ، وتعود جميع عناصرها فى حالة فوضى دائمة – وهى فى أثناء ذلك بين الصحة والمرض ، ويكفى أدنى الأسباب فى دفعها إلى المرض .

ويقول الطبيب فشر : إنه لا يسلم حتى المرأة الصحيحة من الاضطراب الشديد فى زمان الحمل فتصاب فى مزاجها بالتلون وفى أفكارها بالتشوش وفى عقلها بالشرود ، وتتخلف فيها ملكات الشعور والتفكير والتأمل والفهم والتعقل – ومما اتفق عليه هيولاك ايلس والبرت مول من المتخصصين : الشهر الأخير من أشهر الحمل لا يصح فيه البتة أن تكلف المرأة جهدا بدنيا أو عقليا .

أما عقب وضع الحمل فتكون المرأة عرضه لأمراض متعددة تغزوها وتنمو فيها ، إذ تكون جراح نفاسها مستعدة أبدا للتسمم ، وتصبح أعضاؤها الجنسية فى حركة لتقلصها – حتى تعود إلى حالتها الأصلية قبل الحمل – مما يختل به نظام جسمها كله – ويستغرق بضعة أسابيع فى عودته إلى نصابه حتى وإن لم يعرض له فى أثناء ذلك خطر – وبذلك تبقى المرأة مريضة أو شبه مريضة سنة كاملة بعد قرار الحمل وتعود قوة عملها نصف ما تكون عليه فى عامة الأحوال أو أقل منه .

وتستمر الأبحاث العلمية سائرة فى طريقها لتبين لنا وجود اختلافات جذرية بين الرجل والمرأة – تبعا لوظيفة كل منهما فى المجتمعات الإنسانية – وبذلك ندخل فى عصر جديد – أفكاره

تختلف عن أفكار العصر الماضى فى وظيفة كل من الرجل والمرأة .

دور الرجل ودور المرأة :

ويبدأ الأستاذ الدكتور الكسيس كاريل – الحديث فى كتابه « الإنسان ذلك المجهول » موضحا الفرق بين الرجل والمرأة ودور كل منهما فى التناسل فيقول : « إن دور الرجل فى التناسل قصير الأمد – أما دور المرأة فيطول إلى تسعة أشهر – وفى خلال هذه الفترة يغذى الجنين بمواد كيماوية ترشح من دم الأم من خلال أغشية الخلاص – وبينما تمد الأم جنينها بالمادة التى تتكون منها أنسجته – فإنها تتسلم مواد معينة تفرزها أعضاء الجنين – وهذه المواد قد تكون نافعة وقد تكون خطرة – فحقيقة الأمر : أن الجنين ينشأ تقريبا من الأب مثلما ينشأ من الأم – فإن مخلوقا من أصل غريب جزئيا – قد اتخذ له مأوى من جسم المرأة – فتتعرض المرأة لتأثيره خلال فترة الحمل – وقد تتسمم المرأة فى بعض الأحيان بوساطة جنينها – كما أن أحوالها الفسيولوجية والسيكلوجية تعدل به دائما وعلى آية حال – فيبدو أن النساء من بين الثدييات – هن فقط اللاتى يصلن إلى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين – كما أن النساء اللاتى لم يلدن لسن متزنات اتزانا كاملا كالوالدات – فضلا عن أنهن يصبحن أكثر عصبية منهن » .

ويستمر كاريل قائلا : « إن أهمية وظيفة الحمل والوضع بالنسبة للأم – لم يفهم حتى الآن إلى درجة كافية – مع أن هذه الوظيفة

لازمة لاكتمال النمو للمرأة – ومن ثم فمن سخف الرأى أن نجعل المرأة تتنكر للأمُومة – ولذلك يجب ألا نلقن الفتاة التدريب العقلى والمادى الذى يتلقاه الرَّجل – ولا أن نبث فى نفسها المطامع التى يتلقاها الفتيات وتبث فيهن – يجب أن يبذل المربون اهتماما شديدا للخصائص العضوية والعقلية فى الذكر والأنثى – وكذا لوظائفهما الطبيعية – فهناك اختلافات لا تنقضى بين الجنسين – ولذلك فلا مناص من أن نحسب حسابا لهذه الاختلافات فى إنشاء عالم متمدين » .

ثم يصرخ قائلا : « أو ليس من العجيب أن برامج البنات لا تشتمل بصفة عامة على آية دراسة مستفيضة للصغار والأطفال وصفاتهم الفسيولوجية والعقلية ؟ – يجب أن تعاد للمرأة وظيفتها الطبيعية التى لا تشتمل على الحمل فقط بل – أيضا – على رعاية صغارها » .

المرأة مخلوق بيولوجى :

والدكتور محمود أبو زيد مدرس علم الاجتماع بكلية البنات الإسلامية والخبير بمركز دراسات المرأة والبيئة بالقاهرة يقول فى صحيفة الأهرام القاهرية عدد ١٩٨٠/٩/٨ : « إن المرأة مخلوق بيولوجى بالدرجة الأولى – وبالتالى تقتصر مشاركتها فى الأعمال الإنتاجية على أعمال محدودة وبسيطة ، ومن هنا ينبغى أن نقسم العمل على أسس ومفاهيم جديدة بعيدة عن تلك التى بالغ الرجال فى ادعائها وحاولوا تثبيتها فى الآذان على مر العصور » .

اختلافات فى هيكل المرأة وهيكل الرجل :

والدكتور محمد على الباز - يتناول مجموعة من الاختلافات المتنوعة بين هيكل الرجل وهيكل المرأة - وقد نشرت فى مجلة المجتمع الكويتية عدد ٢٥ من جمادى الأولى عام ١٣٩٩هـ فيقول :

أولا : الاختلاف على مستوى الخلايا :

إن هيكل المرأة الجسدى يختلف عن هيكل الرجل - بل إن كل خلية من خلايا جسم المرأة تختلف فى خصائصها وتركيبها عن خلايا الرجل - وإذا دققنا النظر فى المجهر هالنا أن نجد الفروق واضحة بين خلية الرجل وخلية المرأة - ستون مليون خلية فى جسم الإنسان - ومع هذا فإن نظرة فاحصة فى المجهر تنبئك بالخبر اليقين - هذه خلية رجل وهذه خلية امرأة - كل خلية فيها موسومة بميسم الذكورة أو مطبوعة بطابع الأنوثة .

على مستوى الجسيمات المكونة (الصبغيات أو الكروموسومات) هذه الجسيمات الملونة موجودة فى كل خلية وتقاس بالانسجتروم « واحد على المليون من الملليمتر » فى ثخانتها - وهى موجودة على هيئة أزواج - منها زوج مسئول عن الذكورة والأنوثة :

ففى خلية الذكر نجد هذا الزوج على هيئة yx

ففى خلية الأنثى نجد هذا الزوج على هيئة xx

الجسم الملون « صبغ » للذكورة يختلف فى شكله المميز عن صبغ الأنوثة - ولا يقتصر الاختلاف على الشكل والمظهر إنما يتعداه إلى الحقيقة والمخبر - فصبغ الذكورة قصير سميك بالنسبة لصبغ الأنوثة - ومع ذلك فهو يجعل الخلية الذكرية أكثر نشاطا وأقوى شكيمة وأكثر إقداما من شقيقتها الأنثوية .

ثانيا : الاختلاف على مستوى النطفة :

تفرز الخصية مئات الملايين من الحيوانات المنوية فى كل قذفة منى - بينما يفرز المبيض بويضة واحدة فى الشهر .

ونظرة واحدة فاحصة لخصائص الحيوان المنوى الذى يقاس بالميكرون « واحد على المليون من الميتر » تجعلنا نوقن بأنه يجسد خصائص الرجولة - بينما نرى البويضة تجسد خصائص الأنوثة - فالحيوان المنوى له رأس مدبب وعليه قلنسوة مصفحة وله ذيل طويل وهو سريع الحركة قوى الشكيمة لا يقر له قرار حتى يصل إلى هدفه أو يموت - بينما البويضة كبيرة الحجم ميلليمتر وتعتبر أكبر خلية فى جسم الإنسان الذى يحتوى على ستين مليون خلية - وهى هادئة ساكنة تسير بدلال وعليها تاج مشع يدعو الراغبين إليها وهى فى مكانها لا تبرحه ولا تفارقه - فإن أتاها زوجها وإلا ماتت فى مكانها - ثم قذفها الرحم مع دم الطمث .

وإذا دققنا النظر فى قطرة صغيرة من منى الرجل تحت المجهر هالنا ما نرى : مئات الملايين من الحيوانات المنوية تمخر عباب بحر المنى المتلاطم - وهى تضرب بأذيالها لتجرى فى طريقها الشاق الطويل

الوعر المحفوف بالمفاوز والمخاطر حتى تصل البويضة – وفى أثناء هذه الرحلة الشاقة تموت ملايين من الحيوانات المنوية ولا يصل إلى البويضة إلا عشرات الألوف .

وهناك على ذلك الجدار تقف هذه الحيوانات تنتظر أن يؤذن لها بالدخول وتتحرك يد القدرة الالهية المبدعة – فتبرز كوة فى جدار البويضة أمام حيوان منوى قد اختارته الإرادة الالهية ليلقح تلك الدرة المكنونة ويلج الحيوان المنوى سريعا إلى هذه الكوة والفرجة ليقف وجها لوجه أمام البويضة – وهناك يفضى إليها بمكنون سره ويعطيها أسرار الوراثة وتعطيه .. ويتحدان ليكونا النطفة والأمشاج التى يخلق منها الله سبحانه وتعالى الإنسان كاملا .

ثالثا : على مستوى الأنسجة والأعضاء :

تظهر هنا الفروق الواضحة الهائلة – عضلات الفتى مشدودة قوية وهو عريض المنكبين واسع الصدر ضيق البطن صغير الحوض نسبياً لا أرداف له ولا عجز – يتوزع الدهن فى جسمه توزيعا عادلا وطبقة الدهن فى الغالب الأعم محدودة بسيطة وينمو شعر العانة منتجها إلى السرة – كما ينمو شعر عذاريه وينمو شعر ذقنه وشاربه ويغلظ صوته ويصبح أجشا .

بينما نجد عضلات الفتاة رقيقة ومكورة بطبقة دهنية تكسب الجسم استدارة وامتلاء مرغوبا فيه – خاليا من الحفر والنتوءات الواضحة المتعاقبة التى ترتاح العين لرؤيتها – كما يقول أستاذ علم

التشريح الدكتور شفيق عبد الملك فى كتابه « مبادىء علم التشريح ووظائف الأعضاء » ويواصل الدكتور شفيق كلامه قائلا : « ولا تقتصر هذه الطبقة الدهنية على استدارة الجسم وسترما يعتوره من حفر أو نتوءات – بل إن بعض المناطق الخاصة تحظى بنصيب وافر منها مثل : الثديين اللذين يكبران ويستديران – ويتخذ كل منهما شكل نصف دائرة وكذلك منطقة الزهرة والإليتان – كما يستدير الفخذان وغيرهما من مواضع خاصة – ويتسع الحوض متخذا شكلا مناسبا يتفق مع العمل الذى خصص له ويكتمل نمو أعضاء التناسل الباطنة كالرحم والمبيض الذى يقوم بعملية الأبياض السابقة للطمث – وكذلك الأعضاء التناسلية الظاهرية كالمشفرين الكبيرين – ويتخذ كل منهما شكله وحجمه وقوامه وبنيانه وموضعه فى البالغ ويظهر فى منطقة الزهرة والإبطين وينعم الصوت بعد أن كان مصبوغا بصبغة الطفولة .

وغرض كل هذه التغيرات فى الفتاة : اكتساب جمال المنظر ورشاقة القوام ونضارة الطلعة مما يتفق مع حسن ونعومة ونضارة الأنوثة – وكلها عوامل قوية للإغراء .

رابعا : الأعضاء التناسلية :

وتختلف الأعضاء التناسلية للرجل والمرأة – فللمرأة رحم منوط به الحمل – فإن لم يكن حمل فدورة شهرية وطمث « حيض » حتى تحمل أو تتوقف الحياة الجنسية للمرأة – وللمرأة أثداء لها وظيفة جمالية – كما لها وظيفة تغذية الطفل منذ ولادته إلى فطامه بأحسن وأنظف وأليق غذاء – وتركيب العظام يختلف فى الرجل عن المرأة فى القوة

والمتانة فى الضيق والسعة فى الشكل والزاوية – يقول الدكتور شفيق أستاذ علم التشريح : (يمتاز حوض السيدة عن حوض الرجل بالنسبة لقيامه بوظيفة هامة إضافية تتطلب منه بعض الضروريات اللازمة التى لايحتاج إليها حوض الرجل – فنمو الجنين فى الحوض وطرق تغذيته وحفظه – ثم مروره بتجويف الحوض ومن مخرجه وقت الولادة – مما يستلزم بعض التغيرات والتعديلات التى يسهل معها إتمام الولادة بالنسبة للطفل والأم – وتنحصر كل هذه التغيرات فى أن يكون تجويف حوض السيدة أوسع وأقصر وأن تكون عظامه أرق وأقل خشونة وأبسط تضاريسا) .

ويستمر الدكتور شفيق قائلا : « يوجد تسعة عشر فرقا بين حوض الرجل والمرأة – ويختم ذلك بقوله : وأن تكون دقة العظام ونعومتها وبساطة تضاريسها وصغر شوكاتها وقلة حفر غورها ظاهرة جلية فى أكثر عظام الهيكل فى المرأة – غير أنها تتجلى بأوضح شكل فى عظام الحوض للأنثى التى تشارك ضعاف عظام الهيكل الأخرى بقسط وافر فى صفاتها المميزة للأنوثة زيادة على تكيفها النوعى الخاص بما يناسب ما يتطلب منها القيام بعمل ينفرد به دون غيرها من عظام الهيكل » .

والحكمة فى الاختلاف المبين بين التركيب التشريحى والوظيفى « الفسيولوجى » بين الرجل والمرأة – هو أن هيكل الرجل قد بنى ليخرج إلى ميدان العمل ليكدح ويكافح – وتبقى المرأة فى البيت تؤدى وظيفتها التى أناطها الله تعالى بها .

والفرق نراه واضحا فى الرجل البالغ وفى المرأة البالغة - كما نراه فى الحيوان المنوى والبويضة ساكنة هادئة - لا تتحرك إلا بمقدار - وعليها التاج المشع - الحيوان المنوى صاروخ مصفح وقذيفة تنطلق عبر المخاطر والمفاوز لتفوز بغرضها وغايتها أو تموت .

والفروق نراها فى الدم والعظام - فى الجهاز التناسلى - فى الجهاز العصبى - فى اختلاف هرمونات الذكورة وهرمونات الأنوثة - فى الاختلاف النفسى بين إقدام الرجل وصلابته وخفر المرأة ودلالها .

إذا لم نفعل ذلك - فإننا نصادم الفطرة ونتجاهل التكوين النفسى والجسدى للمرأة - ويكون ذلك وبالاً على المجتمع وعلى المرأة وسنة ماضية ولن تجد لسنة الله تبديلا .

خامسا : مخ المرأة يختلف عن مخ الرجل :

وقد أثبت العالم روجرز سبيرى الذى حصل على جائزة نوبل للطب لعام ٨١ عن أبحاثه التى أثبتت أن المخ له جنس - مما يعنى أن هناك مخاً مذكرا ومخاً مؤنثا - وأن ذلك يؤثر بالتالى على سلوك الإنسان وطريقة تفكيره .

وأكدت الأبحاث : أن مخ المرأة يختلف عن مخ الرجل - وهذا الاختلاف لا يتعلق بالحجم والصفة التشريحية - بل هو يؤدى إلى أن كلا من المرأة والرجل ينظر إلى الحياة ويشعر بها ويتعامل معها ويحللها بشكل مختلف تماما عن الآخر .

كما أوضحت الأبحاث : أن السبب فى هذا الاختلاف لا يرجع إلى التربية أو تأثير البيئة المحيطة – وإنما يرجع إلى تأثير الهرمونات الجنسية – ذلك أنها لا تشكل فقط الأعضاء التناسلية للإنسان – بل هى تكسب المخ صفة التذكير والتأنيث – ففى البداية يكون المخ مؤنثا – مثله فى ذلك مثل باقى أجهزة الجسم ولكن فى الأيام الأولى من الأيام الجنينية – وبعد أن تحدد الكروموسومات جنس الجنين (س س) للأنثى ، (س ص) للذكر تقوم الهرمونات بدفع المخ بشكل نهائى ويقوم هرمون الذكورة التستوسترون – بهذه المهمة حيث إنه أصل نمو الجنين كذكر – ويكفى نقص هذه الهرمون لكى ينموالجنين كأنثى – فإذا حدث أن تعرض جنين يحمل كروموسومات جنسية أنثوية لتأثير هرمون الذكورة – فإنه قد تنشأ الفتاة بأعضاء تناسلية مذكرة – ونفس الشىء يحدث إن تعرض جنين يحمل كروموسومات جنسية مذكرة لنقص فى هرمون الذكورة – فإنه قد يولد بأعضاء تناسلية أنثوية – ولكن تكون لديه خصية بدلا من المبايض .

وقد أجريت دراسات حديثة على بعض السيدات – حيث حقن بهرمونات مذكرة فى أثناء الحمل – وقد بينت نتائج هذه الأبحاث : أن هؤلاء السيدات قد ولدن أطفالا تميزوا بالعنف عن أخوتهم وأخواتهم ذلك أن أخذ كميات كبيرة من هذا الهرومون يزيد من احتمالات السلوك العدوانى – بيد أن الهرمونات لا تؤثر فقط

على السلوك ولكنها تلعب دوراً فى نمو المخ - وهذا ما أكدته أبحاث الدكتور روجر سبيرى .

صحيفة الراية القطرية فى ١٩٨١/١٩/٩١.

* * *



الفصل الثانى

الرضاعة الطبيعية والرضاعة الصناعية

أضرار الرضاعة الصناعية للطفل :

الأطفال هم الثروة البشرية التى لا تقدر بمال – ومن هنا كان حرص الأم بمختلف أنواعها على تربية الأطفال تربية متكاملة من جميع النواحى حتى يشب الأطفال أصحاء الجسم أصحاء العقل أصحاء النفس حتى يؤدوا رسالتهم فى رقى الأمم والوصول بها إلى ما تبتغيه من العلم والتقدم – ومع خروج المرأة للعمل – ومع اتجاه الأمهات إلى الرضاعة الصناعية محافظة على الصحة والرشاقة – كثر استخدام الألبان الصناعية لرضاعة الأطفال .

وبدأ الناس يحسون بظواهر جديدة تحدث للأطفال – وقد درس العلم الحديث الألبان الصناعية وتأثيراتها المتنوعة على الأطفال فى مختلف أعمارهم – وكانت نتائج هذه الدراسات مذهلة للجميع – حتى للعلماء الذين قاموا باجرائها .

مؤتمر موناكو :

انعقد المؤتمر الثالث للطفل فى موناكو ربيع ١٩٧٨ واسم هذا المؤتمر « موناكو ٣ » وقد جاء هذا المؤتمر ضمن سلسلة مؤتمرات تعقد من أجل صحة الطفل والأم منذ عام ١٩٦٩م فى إمارة موناكو

وقد اشترك فى المؤتمر أكثر من ٣٠٠ طبيب من المتخصصين فى الطفولة فى جميع احتياجاتها وأشرف على المؤتمر شركتان عالميتان لإنتاج غذاء الطفل .

لبن الأم أفضل غذاء للطفل :

وقد أكدت المؤتمرات السابقة أهمية لبن الأم فى الأيام الأولى لحياة الطفل وهو الوسيلة الوحيدة لوقايته فى أيامه الأولى وفى حياته المستقبلية من العديد من الفيروسات والأمراض مثل السل وأمراض الأمعاء ولين العظام .

لبن المسمار :

يطلق لبن المسمار على الكمية المختزنة من لبن الأم فى الأيام الأولى للرضاعة – حيث يضم كمية كبيرة من الأجسام المضادة – بالمقارنة للأجسام المضادة الموجودة فى ثدى الأم بعد الأيام الخمسة الأولى – وهو غنى بالبروتين ولونه أصفر .

والأطباء يصرون على تناول الطفل للبن المسمار – لما له من الفوائد المختلفة للطفل – وقد أجرى الدكتور يحيى الجمل أستاذ الأطفال المساعد بعين شمس – بالاشتراك مع هيئة الأمصال واللقاحات – الأبحاث المختلفة لمدة تسع سنوات وثبت : أن وجود كمية الأجسام المضادة فى لبن المسمار هى المسئولة عن حماية الأغشية المخاطية المبطنة للجهاز الهضمى والتنفسى للطفل – وتزيد عدة مرات فى لبن المسمار عنه فى لبن الأم الذى يفرز بعد ذلك – وانتهى البحث

إلى النصيحة التى يعمل بها أطباء أمريكا الآن – وهى ضرورة رضاعة الطفل من ثدى أمه على الأقل فى الخمسة الأيام الأولى – حتى ولو تمت تغذيته بالألبان الصناعية بعد ذلك .

« صحيفة الأهرام القاهرية » عدد ١٩٧٩/٩/١٩.

توصيات مؤتمر موناكو :

وقد أعلن مؤتمر موناكو ٣ فى نهاية جلساته خمس وصايا إلى كل أم وهى :

١ – اللبن الطبيعى هو الطعام الأساسى لكل طفل – فهو علاوة على أنه وسيلة لتوطيد أواصر الأسرة من جديد فى المجتمع – فهو يقوم بتدعيم الرابطة بين الأم والابن – وهو الوسيلة الوحيدة لوقاية الطفل العديد من الأمراض من سن الطفولة إلى الشباب – كما أنه يحمى الطفل من الحساسية .
٢ – التبكير فى إعطاء لبن الأم للطفل حتى يحصل على مادة الكولسترول التى تسبق اللبن الطبيعى والمفيدة لجسم الطفل وعملية امتصاص الطفل – فهذه المادة تؤدى إلى التبكير والإسراع فى نزول اللبن من ثدى الأم .
٣ – من الأخطاء الشائعة إرضاع الطفل عند أقل صراخ – وسيلة لإسكاته – مما يسبب له أمراض سوء الهضم .
٤ – تحذير إلى كل أم أن تبتعد عن التدخين وألا تتناول الأدوية بدون استشارة الطبيب – لأن ذلك قد يؤدى إلى تجمد اللبن فى الغدد .

٥ – اللبن الطبيعى غذاء كامل للطفل – ويجب عدم استخدام الطعام الخارجى إلا بعد خمسة أو ستة أشهر – بشكل تدريجى وبكميات قليلة جدا .

وقد أجمع أطباء المؤتمر على ضرورة إرضاع الطفل من ثدى أمه فور ولادته – والبعد عن إعطائه السكر المذاب فى الماء فى مدة الأربعة والعشرين ساعة الأولى من ولادته للأسباب الآتية :

أولا : أنها تحرم الطفل من مادة الكولوسترول التى توجد فى لبن الأم عقب الولادة – وهى تعطى المناعة ضد العديد من الأمراض التى تصيب الجهاز التنفسى والأمعاء .

ثانيا : أنه من الأفضل أن يعتاد الطفل على الرضاعة من ثدى أمه مبكرا .

ثالثا : أنه من الخطأ أن يدخل جسم الطفل طعام غريب مثل السكر عقب ولادته .

الإصرار على الرضاعة الطبيعية لماذا ؟

الأستاذ الدكتور حسين بهاء الدين – أستاذ طب الأطفال بكلية طب قصر العينى بالقاهرة – قاد فريقا مكونا من خمسة أطباء فى مجال التحاليل الطبية والكيمياء وطب الأطفال وذلك للبحث فى الرضاعة الطبيعية ومدى أهميتها للأطفال – وقد استمرت هذه الأبحاث أكثر من عامين – وقد كان الهدف الوصول إلى الأسباب التى تجعل

الأطباء يصرون على العودة إلى الرضاعة الطبيعية – فقد أثبتت هذه الأبحاث : أن لبن الأم يتفوق تفوقا حاسما من ناحية تركيبه الفريد واحتوائه على المواد الأساسية للحياة والتغذية والنمو – من بروتينات ونشويات ودهنيات وفيتامينات وأملاح ومعادن – فهو يحتوى على كل هذه المكونات فى أروع نسبة وأفضل تركيب للاستفادة الكاملة منه طوال مراحل النمو للطفل .

فالبروتين – وهو المكون الأساسى للخلية – اكتشف العلماء أن نسبة الاستفادة منه فى لبن الأم أعلى بكثير منه فى لبن الحيوان أو اللبن الصناعى – فالطفل يحتاج إلى ٤ جرامات بروتين لكل كيلو جرام من وزنه فى اللبن الصناعى – على حين يحتاج إلى ١,٥ جراما فقط من بروتين لبن الأم – كما اكتشف العلماء أن لبن الأم يحتوى على ١٨ نوعا من البروتينات .

ويقول الدكتور حسين : « إن الأبحاث كشفت أن لبن الأم يحتوى على خلايا تستطيع تكوين أجسام مضادة للميكروبات والفيروسات والبكتريا – وقد حدد البحث المصرى الذى أجرى على ٦٠ طفلا مصريا تتراوح أعمارهم بين ثلاثة شهور وأحد عشر شهراً : أن خلايا لبن الأم تفرز أربعة أنواع من الأجسام المضادة الرئيسية – وأثبتت التحاليل بالأرقام أن كمية الأجسام المضادة فى لبن الأم تتفوق بوضوح عنها فى الرضاعة الصناعية :

فالأجسام المضادة رقم/١ فى طفل الرضاعة الطبيعية تتفوق بنسبة ١٣٠٪ عن طفل الرضاعة الصناعية .

والأجسام المضادة رقم/٢ فى طفل الرضاعة الطبيعية تتفوق بنسبة ١٤٥٪ عن طفل الرضاعة الصناعية .

والأجسام المضادة رقم/٣ فى طفل الرضاعة الطبيعية تتفوق بنسبة ١٧٠٪ عن طفل الرضاعة الصناعية .

والجديد فى هذه الأبحاث : أن الأطباء كانوا يعتقدون أن تأثير الأجسام المضادة – يتركز فقط فى القناة الهضمية حيث كانوا يلاحظون انخفاض النزلات المعوية فى أطفال الرضاعة الطبيعية عنه فى أطفال الرضاعة الصناعية – ولكن أبحاث الدكتور حسين ورفاقه كشفت عن أن الأجسام المضادة يمكن تأثيرها أيضا فى الدم .

النمو العصبى والعقلى للطفل :

الجزء الثانى الذى ركز عليه البحث هو النمو العصبى والعقلى للطفل – حيث ثبت علميا : أن مخ الطفل وجهازه العصبى – يبدأ فى النمو وهو فى بطن أمه – ويستمر هذا النمو إلى أن يصير إلى ٧٥٪ عند نهاية العامين – أى أن الطفل والتأثير الذى يتعرض له خلال العامين فى جهازه العصبى ومخه يمتد تأثيره إلى نهاية عمره – وأهم ما يحتاجه مخ الطفل وجهازه العصبى فى نموه كما يقول الدكتور حسين هو من الدهنيات الفسفورية وأهمها مادتان على وجه التحديد – وتدخلان فى تركيب الجهاز العصبى والمخى للإنسان – وتلعبان دوراً أساسيا فى اكتمال نموهما .

وقد أثبت البحث أن أطفال الرضاعة الطبيعية عندهم زيادة واضحة فى هاتين المادتين وبنسبة تصل إلى ١٦٥٪ للمادة الأولى ،

١٣٥٪ للمادة الثانية . كما ثبت أن الكولوسترول أقل بنسبة ١٠٪ – ومعنى هذا الرقم أن أطفال الرضاعة الطبيعية أقل تعرضا لتصلب الشرايين والبدانة وأقل تعرضا للذبحة الصدرية عندما يكبرون .

ومن هنا فإن نتائج هذا البحث تقول : « إنه إذا مر العامان الأولان من عمر الطفل بدون تكاثر الخلايا الدهنية فإن فرصة إصابته بالبدانة تصبح ضئيلة عندما يكبر – وبالتالى يتلاشى خطر إصابته بالأمراض التى تصاحب السمنة عند الكبار .

صحيفة الأهرام القاهرية فى ١٩٧٩/١١/٢٦

وقد أعلن الدكتور فردريك روبين الذى نال جائزة نوبل عام ١٩٧٦ فى أبحاثه « أن الطفل الذى يرضع من ثدى أمه أقل كثيرا ممن يرضعون صناعيا فى تعرضه لأمراض تصلب الشرايين حين يصير رجلاً » .

وقد أوصى المؤتمر الأول لمكافحة سوء التغذية الذى انعقد فى جامعة الدول العربية بتشجيع الرضاعة الطبيعية للأطفال لاحتوائها على المواد الزلالية والفيتامينات التى تقى الطفل من أمراض سوء التغذية والأمعاء .

الأهرام القاهرية فى ١٩٧٩/١١/٢٦

كل العناصر فى لبن الأم :

وقد جاء فى صحيفة الأهرام بعددها الصادر فى ١٩٨١/٨/١٦ مايلى : « يقول الدكتور جوزيف وارسو أستاذ طب الأطفال فى كلية

طب جامعة بال « إن لبن الأم يحتوى على كل العناصر والمواد التى يحتاجها الطفل فى الشهور الستة الأولى من عمره – مما يغنيه عن تناول أى فيتامينات أو معادن أو عصائر فى هده الفترة – كما يحتوى لبن الأم على كثير من المواد الغذائية ومنها الكولوسترول – وهو السائل الأصفر الذى يسبق نزول لبن الأم فى الأيام الأولى بعد الوضع – والذى يحتوى على مواد أمينية تحمى الطفل من الإصابة بالعدوى والتلوث – كما أن لبن الأم يكون دائما نظيفا – لذلك نلاحظ أن الأطفال الذين يرضعون طبيعيا – لا يتعرضون للإسهال بالنسبة التى يصاب بها الأطفال الذين يرضعون صناعيا » .

وأظهرت الأبحاث العلمية : أن الأطفال الذين يرضعون طبيعيا لا يظهرون آية حساسية تجاه لبن الأم كما أنهم لا يتعرضون للإصابة إلا بثلث الأمراض التى يتعرض لها الأطفال الذين يرضعون صناعيا فى السنة الأولى من العمر– وتؤكد هذه النتائج النظرية التى يؤمن بها كثير من الخبراء التى تقول : إن الطفل الذى يرضع طبيعيا ولو لفترة صغيرة يتحصن من الإصابة بالأمراض المعدية فيما بعد » .

ويواصل المتخصصون دراساتهم وأبحاثهم – لمعرفة الفوائد الطبية المتوافرة فى لبن الأم – فالمعتقد أن لبن الأم ترتفع فيه نسبة الكولوسترول – فإذا تعود الطفل تناول هذه المادة تنخفض نسبة إصابته لتصلب الشرايين وبقية الأمراض المرتبطة بالكولوسترول فيما بعد .

ونتيجة لكل هذه الأبحاث – فإن الخبراء والمتخصصين فى لبن الأم يرون أن لبن الأم هو أفضل غذاء للطفل ولا يمكن إبداله بأى لبن صناعى أو أى غذاء آخر .

وقد يختلف لبن امرأة عن أخرى أو حتى عن نوعيته عند نفس الأم من أسبوع لآخر – ولكن هذا لا يؤثر فى شيء على الفائدة التى يحصل عليها الطفل .

ويذكر دكتور شورت ماسون فى كتابه « الصحة » الهرمونات فيقول : « ثدى الحامل يهيء عملية حشد جيوش كاملة من الهرمونات لتكون على أهبة الاستعداد لهذا الضيف القادم – وهذه الهرمونات تجعل اللبن ينساب بين شفتى الطفل الرضيع دون تعب أو مشقة » .

ويقول ماسون : « إن إدرار اللبن محكوم بفعل لا إرادى أو استجابة خاصة – وأن هذا الفعل لا يظهر إلاإذا لا مست شفتى الطفل حلمة المرضعة – ففى هذه الحلمة تنتشر آلاف من الحركات العصبية المكلفة بنقل نبضات خاصة إلى المخ – ينقلها عندما تضغط الشفاه على الحلمة – ثم تتوجه النبضات إلى لوحة عصبية فى قاع المخ وهذه اللوحة تستجيب بدورها للنداء – فترسل معلوماتها إلى الغدة النخامية – ومن الغذاء تخرج رسالة هرمونية – وهذه تنتشر فى الدم وتؤثر على الثدى وكأنما هى تحية ليكون كريما مع الطفل » .

مؤتمر جامعة الدول العربية :

فى سنة ١٩٧٦م – عقد فى مبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة المؤتمر الدولى الأول للوسائل العملية لمقاومة سوء التغذية – وقد اشترك فيه أكثر من مائتى طبيب – يمثلون ٣٢ دولة – منها الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وسويسرا ، وإيطاليا – علاوة على علماء يمثلون الهيئات العالمية المختلفة الخاصة بالصحة والتنمية الدولية وبرنامج الغذاء العالمى – وقد استمر المؤتمر خمسة أيام – أصدر بعدها توصياته والتى على رأسها تشجيع الرضاعة الطبيعية كعلاج للإسهالات والنزلات المعوية فى الأطفال ، حيث ثبت أن نسبة حدوث هذه الأمراض بين أطفال الرضاعة الصناعية تبلغ عشرة أمثال نسبتها بين الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية من أمهاتهم .

وطالب المؤتمر بنشر وسائل تشجيع الرضاعة الطبيعية – وبخاصة بين الأمهات فى الطبقات غير القادرة التى امتصتها المصانع والأعمال اليدوية – ولجأت إلى الرضاعة الصناعية – وقد أصدر المؤتمر توصيته باعتبار أن أول خطوة نحو علاج سوء التغذية فى الإنسان – وبالتالى أول محاولة للوقاية من سوء التغذية تبدأ منذ ولادة الطفل وبداية من رضاعته – محدداً المدة المثلى للرضاعة الطبيعية بسنتين كاملتين .

يقول الدكتور فشر : « إن مدة الرضاع لا تحيا فيها المرأة لنفسها – فهى تحول خلاصة جسمها إلى لبن سائغ للولد ومن الغذاء الذى تأكله لا ينال جسمها إلا البلغة! – وأما سائره فيصرف فى إنزال

اللبن فى صدرها – وبعد الرضاع يكون على المرأة أن تصرف عنايتها كلها فى احتضان الولد وتعهده وتربيته حقبة من الزمن ولا عوض فى الدنيا عن لبن الأم .

وليست هذه المرة الأولى التى يبحث العلم فيها صحة الطفل وسلامته ووقايته – ويصدر قرارات بوجوب إرضاع الأم لطفلها – فلقد ظل الاعتقاد سائداً إلى فترة : « إن الغذاء الطبيعى للرضيع هو لبن الأم أو أى لبن طبيعى أو صناعى يقارب درجة تركيبه ومكوناته لبن الأم – ويستحسن أن يكون لبن امرأة أخرى صحيحة البنية – يكون ابنها فى سن الرضيع الذى ترضعه – وذلك فى حالة عدم إرضاع الأم لطفلها – حتى اتسعت آفاق البحث وتعددت وسائل الدراسة واستخدمت طرق المتابعة على أعداد كبيرة من الأطفال – وضعوا موضع التجربة العلمية والمعملية ووجد أن لبن الأم به مواد زلالية تناسب وتشابه زلاليات الطفل وكذلك أنواع البروتين وأنه لا يمكن أن يماثل تكوين لبن أم أخرى بالنسبة لتكوين أنسجة الطفل – لا فى نوعيته ولا فى درجة تأثيره .

مؤتمر الصيدلة الدولى :

فى مؤتمر الصيدلة الدولى الذى أقيم بباريس عام ١٩٧٢ أعلن عن أهمية حليب الأم فى رضاعة الطفل – بما لا بديل له لصحة الرضيع – ومدى الفارق البعيد بينه وبين حليب البقر – وأشار الدكتور هنرى لستيراد إلى أن لبن الأم قد زود بعشرات من المعطيات الصحية التى لا يمكن أن توجد فى حليب البقر – منها زيادة

كولسترول وكريات وما تحتويه من نسب عالية من السكريات والحوامض البروتينية - مما لا يوجد فى حليب البقر - وأن الأم التى تغذى طفلها بحليب البقر - إنما تعرض عليه زيادة فى المواد البروتينية تفوق حاجته ثلاث مرات - بينما تنقص حاجته من السكريات والأحماض التى لا يحتاج إليها عجل البقرة - ونتيجة لذلك فإن كلا من الكبد والكليتين لدى الرضيع المغذى بحليب البقر تصاب بالتضخم من جراء المجهود اللازم لتحويل المواد البروتينية ولو أن نقص المواد السكرية والحوامض الدسمة فى لبن البقر الذى يقدم للطفل من شأنه أن يوجد نقصا جوهريا فى خلايا الدماغ البشرى - ومما يضاعف الخطر أن خلايا الدماغ تتكون مرة واحدة فى السنين الأولى من العمر ولا تتجدد ... وأضاف الدكتور ليستراد حقائق جديدة لم تكن معروفة إلى وقت قريب - وهى أن حليب الأم لا يشتمل على عناصر غذائية فقط - بل يشتمل أيضا على عناصر وقائية من الأمراض الجرثومية تشبه اللقاحات ومعنى هذا أن خالق الطفل لا الطبيعة - كما يقول - الطبيب - قد مكن الطفل الرضيع فى الأشهر الأولى من عمره من مقاومة بعض الأمراض الجرثومية .

والدكتورة باميلاديمتر - الباحثة بمعهد أبحاث الطفل بمدينة لندن - قد انتهت من دراسة كل أنواع الألبان ثم أعلنت تحذيرا للأمهات من إرضاع أطفالهن من لبن الأبقار وما فى مستواه وقالت : « إن هذه الألبان تحتوى على نسبة عالية من الدسم الذى يصلح لعجول الماشية - بينما ضرره يلحق بالطفل الرضيع - لأنه يؤدى

إلى الإفراط فى السمنة – ويفتح الطريق فى جسم الطفل إلى أمراض القلب – وأن الرضيع الذى يعتمد على اللبن الصناعى أكثر تعرضا للإصابة بإكزيما الجلد أو الربو وأمراض الجهاز التنفسى الأخرى – والأهم من ذلك : أنه يشب أنانيا جافا غليظ القلب قاسيا قليل العواطف يفتقر إلى الارتباط الوجدانى على نطاق واسع .

لذلك نجد أن الدكتور الكسيس كاريل : الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة يقول : « إنه يهيب بالأمهات أن يؤدين ما خلقن له – فإن لبن الأم جو طبيعى للطفل – وقد ثبت بالفحص الطبى أن عدد الوفيات فى الأطفال الذين يرضعون بطرق صناعية عشرة أضعاف عدد الوفيات الذين يرضعون رضاعة طبيعية من أمهاتهم » ويقول أيضا : « إن الرضاعة الطبيعية علاوة على أنها تقلل عدد من يموت من الأطفال – فإنها تجعل الطفل أقل عرضة للمرض – كما أنها تمنحه قدرة على الصبر – وتضفى عليه سكينة فى النفس – بينما تسبب الرضاعة الصناعية – علاوة على أمراض الجهاز الهضمى بروز الفك – وتشوه الأنف وتفلطح قبوة الفم – مما يؤثر على نبت الأسنان ويعرض الرضيع لتلوث اللوزتين والبلعوم والأذنين والجيوب الأنفية .

ضرورة فطرية :

وقد ثبت عن طريق التحليل والفحص أن تركيب لبن الأم يجارى حاجيات أنسجة الطفل الآخذة فى النمو – ولذلك نجد أن تركيب لبن الأم ونوعه ودرجة تركيزه ونسب مكوناته تتغير يوميا – ولا يمكن

أن يتم ذلك التغيير بالنسبة للبن البقر أو اللبن الصناعى أو لبن أم أخرى – حيث تختلف المكونات – ولذلك يقول العلماء : « إن لبن الأم على وجه القطع أدق ملاءمة لحاجات الطفل من أى لبن صناعى – مهما كانت درجة دقة صناعته وتغيره – كما ثبت أن لبن الأم يوفق توفيقا رائعا بين خواص اللبن من ناحية التكوين ودرجة الحرارة وطبيعة حاجات الطفل بل قيل : « إن لبن الأم إذا أفرغ من الثدى وأعطى فى زجاجة – صار أقل فائدة منه إذا رضعه الطفل من أمه مباشرة » – كما ثبت أن الأم عندما ترضع طفلها لا طفل غيرها – فإن الحنان يتدفق منها إليه – والحب الذى تغمره به – إنما ينعكس على حالته – فتولد فيه كل عواطف الحب والحنان والشفقة .

عناصر فى لبن الأم تقى الطفل الأمراض الفتاكة :

وقد نشرت مجلة العلم القاهرية عدد مايو ١٩٧٦ مقالا تناولت فيه الرضاعة الطبيعية وقد جاء فيه « أعلن الباحثون فى تكساس وجوتنبرج والسويد اكتشافهم لثلاثة عناصر هامة فى لبن الأم – تحمى وليدها وتعطيه المناعة ضد الأمراض المعدية الفتاكة وهى :

١ – الليمفونيس .
٢ – الأجسام المضادة .
٣ – اللاكتوفرين .

وهذه العناصر لا توجد إلا فى لبن الأم .

وأثبتت الأبحاث العلمية : أن الله تعالى يعطى فى لبن الأم ما يناسب وليدها حسب احتياجات جسده ونموه ولذلك بدأ الاتجاه نحو الرضاعة الطبيعية يعود – ويتحمس لهذا أطباء أمريكا وهيئة اليونيسيف « رعاية الطفولة والأمومة » والهيئة الصحية العالمية والأسباب هى :

١ – لبن الأم أنسب الألبان تركيبا لصحة الطفل – ولا يمكن إيجاد لبن مماثل تماما .
٢ – الأمهات فى الدول النامية والفقيرة – يقدمن لأطفالهن أطعمة فقيرة فى القيمة الغذائية .
٣ – لبن الأم نقى جاهز التعقيم .
٤ – لبن الأم أقل فى التكلفة ويعتبر هدية مجانية للوليد من خالقه .
٥ – الحنان وفيض الأمومة الذى ينساب للجنين عبر لبن الأم عنصر أساسى .
٦ – لبن الأم يقدم لوليدها السلاح الذى يدافع به عن نفسه ضد الميكروبات التى تغزو جسمه .

وعناصر الدفاع ثلاثة :

(أ) الليمفونيس :

وهو خط الدفاع الأول ويقول الدكتور ألان مر أستاذ بيولوجيا الخلية وأمراض النساء والولادة بجامعة تكساس : إن وجود الليمفونيس – وهو أحد أنواع كرات اللبن البيضاء فى لبن الأم

« منحة من الله تعالى للوليد – يدافع عنه ضد الأمراض » – كما يقول : « إن لبن الأم هو المشيمة الثانية – الخلاص – بالنسبة للمولود – فالمشيمة الأولى التى تلازم الطفل فى رحم أمه – تمده بالدم الذى يحمل له الحياة ويحمل أجساما مضادة تسمى « الخلايا القاتلة » – ويحتفظ الوليد بهذه الخلايا القاتلة بعد ولادته لمدة أربعة أشهر أو خمسة – حتى يتمكن جسمه من تكوين خلايا مضادة للميكروبات والجراثيم – وتوجد فترة أسبوعين يكون الطفل أعزل من السلاح – وبعد انتهاء هذه الفترة – وحتى تكوين هذه الخلايا الجديدة – وفى هذه الفترة إذا كان يرضع من لبن الأم : « فإن الخلايا تهب لإنقاذه من الغزاة وتفتك بهم – أما التغذية الصناعية فلا يوجد فيها هذا .

وحالات الوفاة الفجائية لحديثى الولادة – ترتفع كثيرا فى الأطفال الذين يرضعون صناعيا .

(ب) الأجسام المضادة :

فى لبن الأم أجسام مضادة للحميات المعوية – التيفود والباراتيفود – وهذا ما يفسر قلة حدوث هذه الحميات فى الأطفال الذين يرضعون طبيعيا من أمهاتهم وبخاصة فى فصل الصيف .

وقد أثبت الدكتور راندال جولد بلوم أستاذ طب الأطفال بجامعة تكساس فى بحث أجراه على السائل الأصفر الموجود فى ثدى الحامل « أن الكولسترول يحتوى على أجسام مضادة لجراثيم الحميات المعوية

قبل الولادة بشهرين – ويستمر إفرازه فى اللبن بعد الولادة – وفضل هذه الأجسام فى رأيه « أن الأم تتعرض لميكروبات معوية بكميات قليلة – تكفى لتشجيع الجسم فى أن يصنع الخلايا المنتجة للأجسام المضادة فى أمعاء الأم – ثم تنتقل إلى ثديها – وهناك تتولى خلايا الكولسترول – تصنيع الأجسام المضادة للميكروبات – ثم تفرز فى لبن الأم سلاحا قويا – لحماية الوليد من هذه الأمراض .

(ج) اللاكتوفرين – قاتل الجراثيم الخطيرة :

فى كلية طب مينا بولس – بجامعة منوشونا الأمريكية – اكتشف فريق من الباحثين عنصرا ثالثا من لبن الأم – وهو اللاكتوفرين الحديدى الأحمر – الذى يفرز أيضا فى الدموع واللعاب ويفرزه الغشاء .

وفى مستشفى سانت مارى أجرى الدكتور « روبرت لابرين » مع فريق من الباحثين – تجارب على لبن أربعمائة من المرضعات المتطوعات – حيث فصلوا منه اللاكتوفرين – وأثبتوا فاعليته الكبيرة فى القضاء على الميكروبات والجراثيم .

نعم للثدى – لا للحليب الصناعى :

ومن هنا فقد أصبح شعار المؤتمرات المختلفة : نعم للثدى ، لا للحليب الصناعى .

الوقاية من أمراض الحساسية :

ولبن الأم يحمى الطفل من أمراض الحساسية - فقد جاء فى ملحق الراية القطرية عن الندوة التى افتتحت فى فرنسا عن موضوع « الحساسية الغذائية » بعددها الصادر فى ١٩٨٢/١١/٣ مايلى :

« إن مرض الحساسية نوع من الحساسية الغذائية التى تبدأ مع الشهور الأولى فى حياة الطفل - وتتنوع أعراض هذا المرض المحير وتختلف من حيث الشدة والخطورة - فقد تتخذ شكل طفح جلدى أو اضطرابات هضمية - بما فى ذلك تقلصات وإسهال - بل وقد تصل إلى ضيق فى التنفس وفقدان للوعى .

ويجمع الباحثون : على أن الاستعداد للإصابة بالحساسية الغذائية - يتكون فى السنوات الأولى من العمر وفى فترة الرضاعة بشكل خاص - كما يعتقدون بأن العوامل الوراثية - لها تأثير على مثل هذا الاستعداد .

ومن ثم : فإن تغذية الطفل بحليب الأبقار تساعد على حساسية لبعض أنواع البروتين الغذائى مستقبلا - بينما يمنح لبن الأم وقاية من ذلك .

ويشير الباحثون فى تفسير ذلك : إلى أن الرضاعة الطبيعية - تحمى الطفل من النزلات المعوية التى تضعف جدار الأمعاء - ومن ثم يتيح لأنواع البروتين الغريبة عن الجسم مثل لبن الأبقار المرور على

الدم – وبالتالى – فإن هذه الظاهرة تمهد الأرض للحساسية الغذائية .

وفى غياب النزلات المعوية – فإن جدار أمعاء المولود تكون منفذة للبروتينات بشكل عام – إلا أن بروتين لبن الأم إذا نفذ لتيار الدم – لا يسبب آية حساسية – بل والأكثر من ذلك – فإن لبن الأم يحتوى على مواد تساعد على تلاحم وتقارب خلايا الغشاء والبطن للأمعاء – وهو ما يمثل مناعة أفضل للمستقبل عندما يكبر الطفل .

وبحث علمى يؤكد ذلك :

وقد أكد بحث علمى بكلية طب طنطا : أن لبن الأم يقلل من ظهور أمراض الحساسية الوراثية لدى الأطفال لاحتوائه على بعض الأجسام المناعية التى تكسبهم مناعة فى مواجهة المرض .

وقد نوقشت نتائج هذا البحث فى المؤتمر الذى عقدته جمعية أمراض الحساسية فى باريس عام ١٩٨١ – وصاحب هذا البحث الدكتور سمير خضر – الأستاذ بقسم الصحة العامة بكلية طب طنطا – بالاشتراك مع الدكتور فيالات أستاذ أمراض الحساسية بطب باريس – قال الدكتور سمير : « إن الأبحاث العديدة حول أمراض الحساسية قد أثبتت أنه توجد مادة بالدم تسمى الايمفوجلوبين – تتميز بقابليتها للتفاعل مع بعض الأجسام الخارجية كالتراب وحُبوب اللقاح وبعض الفطريات – هذا التفاعل يؤدى إلى أمراض الحساسية – كما أثبتت الأبحاث ارتفاع نسبة هذه المادة فى دم

الأشخاص الذين عندهم استعداد وراثى لأمراض الحساسية » .

ويقول الدكتور سمير : « إن البحث الذى أجراه بالاشتراك مع الأستاذ الفرنسى قد أثبت : أن لبن الأم يحتوى على بعض الأجسام المناعية التى تقلل من إفراز مادة الايمنوجلوبين - المسببة للحساسية ولذلك كان للرضاعة الطبيعية من لبن الأم فائدة كبيرة فى منع ظهور الحساسية فى السن المبكرة للطفل - لأن الأجسام المناعية الموجودة فى اللبن تضعف من وجود مادة الايمنوجلوبين - وبالتالى تقلل من أمراض الحساسية » .

ويضيف الدكتور سمير : إن معظم الأبحاث العلمية حول أمراض الحساسية تتركز حاليا على إيجاد وسيلة فعالة لمنع التفاعل بين مسببات الحساسية كالتراب والفطريات ومادة الايمنوجلوبين .

« الأخبار القاهرية عدد ١٩٨١/٤/٦ »

وقد جاء فى صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٩٨١/٥/١٣ .

« يفضل المتخصصون اتباع النقاط التالية لمنع إصابة الطفل من الحساسية أو تخفيف حدته إذا كان مصابا بالفعل :

١ - الرضاعة الطبيعية - لأنها تحمى الطفل من احتمال الإصابة بالحساسية التى قد تسببها البروتينات الموجودة فى اللبن البقرى - كما أن لبن الأم يحتوى على مواد بيئية - تحمى الطفل من الإصابة بأى مرض - بالإضافة إلى أنه يعطى فرصة لبناء

جهازه المناعى لمدة ثلاثة أشهر تقريبا .

٢ - وبعد هذه الفترة يجب الحرص على عدم تقديم أى أغذية قد تسبب الحساسية مثل البيض والسمك والشيكولاتة للطفل الذى تقل سنه عن عام .

٣ - وبعد هذه الفترة - يجب على الأم مراجعة طفلها لمدة أسبوع - بعد كل نوع من طعام جديد تقدمه له لتعرف مدى تأثيره عليه .

أسنان الطفل والرضاعة الطبيعية :

أجريت دراسات فى إحدى مستشفيات المانيا الغربية - لمعرفة تأثير تغذية الطفل ورضاعته رضاعة طبيعية فى الوقاية من التهابات اللثة والفم - وتناولت الدراسة مائة طفل فى مراحل النمو المختلفة -- وقد أجريت لهم الفحوص اللازمة لكشف مدى إصابتهم بأمراض الفم والأسنان - مع وضع تحليل كامل عن حياة الطفل والأمراض التى أصيب بها والأدوية التى تناولها - وقد دلت نتائج التجربة على أن الأطفال الذين اعتمدوا فى تغذيتهم على الرضاعة الصناعية - دائما ما يصابون بأمراض تسوس الأسنان والتهابات اللثة - عكس الأطفال الذين اعتمدوا على الرضاعة الطبيعية فى التغذية منذ الولادة .

ويؤكد البحث : « أن هناك علاقة أكيدة بين إصابة اللثة والترسبات التى تظهر على أعناق الأسنان كرد فعل لعملية تخريب اللثة الناتج عن الترسبات - وهذه الترسبات تزداد مع قلة المناعة الموجودة فى جسم الإنسان والتى تبدأ خلال مراحل نموه فى الأشهر

الثلاثة الأولى – وأن الرضاعة الطبيعية فى هذه المرحلة تكسب الطفل حصانة تاريخية ناتجة من البروتينات النوعية وغير النوعية التى يحتويها حليب الأم .

أما بالنسبة لتشوهات الأسنان والتى تأتى نتيجة من سوء تركيب الأسنان بعضها على بعض نتيجة لعدم وجود مسافة كافية لها مما يؤدى إلى ركوب بعضها على بعض – فإن الأطباء يؤكلون على : أن هذا يرجع سببه إلى عدم وجود كميات مناسبة لاحتياجاته فى عملية بناء الأسنان بالذات والتى يمكن تعويضها من حليب آخر .

كما يؤكد البحث على أن أسباب بروز الفك وتشوه الأسنان يرجع إلى الخلع المبكر والتسوس المبكر أيضا بالنسبة للأسنان اللبنية المؤقتة – مما يؤدى إلى انحراف السن الجديد للداخل أو للخارج – أما بعض العادات السيئة التى تشوه الأسنان فى سن الطفولة – مثل مص الأصابع وعض الشفة ودفع اللسان وتناول البيبينة أو المصاصة البديلة « البزازة » – فهى تسبب تشوه الأسنان أو بروزها بشكل غير طبيعى يؤثر فيما بعد على نمو الأسنان وانتظامها وتغير شكل الوجه .

وينصح الأطباء كل أم بالاهتمام بالرضاعة الطبيعية ورعاية أطفالهن – وبخاصة فى سن التسنين .

« صحيفة الراية القطرية فى ١٩٨٠/١٠/٢٩ »

وهناك دراسات أخرى تمت فى مصر أمكن عن طريقها استنتاج حقائق هامة فى هذا الموضوع من بينها : تزايد الحاجة إلى تقويم

الأسنان عاما بعد عام – فقد أصبحت نسبة الأسنان التى تحتاج إلى عناية عام ١٩٨٠ ٣٠٪ بعد أن كانت منذ عشرين عاما صفرا .

والطبيب جمال الدين مدين – وكيل وزارة الصحة ونقيب أطباء الأسنان ومدير مركز أبحاث طب الأسنان بمصر يقول : « لقد أجريت دراسة تمهيدية عام ١٩٥٥ وكانت نسبة حالات تقويم الأسنان قليلة جدا – كما جاء بالبحث الذى أجراه المجلس الدائم للخدمات »

ويرجع سبب تسوس الأسنان إلى سببين :

– الوراثة – والنسبة بسيطة – ويكون شكل الفم والأسنان متأثرا بعوامل وراثية .

– أسلوب التغذية – حيث انتقل الشعب المصرى من الغذاء الصلب إلى الغذاء اللين – فتجهيز الطعام بطريقة سهلة المضغ مثل الفطائر والنشويات – لا يساعد على تشغيل العضلات المتصلة بالفكين – مما – يسبب عدم نمو الفكين بالقدر الكافى فتظهر أكثر بروزا فى أحد الفكين – وبالتالى فى الأسنان – وكذلك الرضاعة الصناعية – فهى أيضا مسئولة عن اعوجاج وتشوهات الأسنان .

والدليل على ذلك : أن الشعوب البدائية والقبائل التى يعتمد أطفالها على الرضاعة الطبيعية – لا يوجد بينهم من هو فى حاجة إلى تقويم – حيث أن الأسنان تنتظم بشكل طبيعى – فى الوقت الذى نجد فيه الدول الأوربية والأسكندنافية وأمريكا تبلغ فيها نسبة الأطفال المحتاجة إلى تقويم الأسنان حوالى ٨٠٪ – وإن كانت عملية تقويم الأسنان

فى تلك الدول يترتب عليها مشاكل اجتماعية كثيرة .

الأهرام فى ١٩٨١/٣/١٣ .

أخطار التغذية الصناعية على الأسنان اللبنية :

يقول الدكتور مصطفى أمين كامل – أخصائى جراحة الفم والأسنان فى صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٩٨٢/٢/١٩ عن أسباب ظهور الضب عند الأسنان : « التسنين عملية فسيولوجية – تحتاج إلى خبرة طبيب الأطفال الذى يقوم بعلاج الطفل – حسب الأعراض التى يشكو منها وخبرة طبيب الأسنان الذى سيقوم بعمل العلاج الموضعى اللازم – الذى يحيط بمنطقة الضرس أو اللثة الذى يحاول الظهور فى الفم ويشق له طريقه بتسهيل عملية الظهور فى الفم .

ودور الأم هنا هو العناية بالطفل وبغذائه وبنظافة فمه – مع فهمها وإلمامها بحقائق هذه المرحلة الهامة فى حياة الطفل .

وينبه الدكتور مصطفى الأمهات إلى أن استعمال البزازة – مع بداية فترة التسنين يؤثر على شكل الأسنان العليا الأمامية – ويجعلها تبرز إلى الأمام كثيرا – مما يساعد على ظهور الضب – لأن الضغط المستمر لتلك البزازة على الجزء الأمامى من الفك العلوى فى أثناء فترة نموه – قد يجعل ذلك الفك ينصرف عن اتجاهه الصحيح ويبرز للأمام بروزا شديدا – وهذا يسبب عدم انتظام الأسنان الأمامية (الضب) .

اللبن الصناعى والإسهال :

يقول الدكتور عبد الخالق خطاب أستاذ طب الأطفال فى جامعة عين شمس كما جاء فى صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر فى ١٩٨١/٧/٥ « إن إصابة بعض الأطفال بالإسهال يكون نتيجة عدم تحملهم لسكر اللبن (اللاكتوز) الذى يصل إلى الأمعاء مع اللبن - ويتم هضمه وبوساطة أنزيم خاص يوجد فى جدار الأمعاء الدقيقة - ويسهل عملية وصول السكر إلى الدم - ففى حالة هذا الأنزيم لا يتم هضم اللاكتوز أو امتصاصه - فيظل فى الأمعاء ويؤدى بالتالى إلى حدوث إسهال » .

ويعنى هذا : أن الأطفال الذين يعانون من نقص هذا الأنزيم يصابون بالإسهال بمجرد - شرب اللبن - أما بالنسبة إلى نقص هذا الأنزيم - فيمكن أن يكون خلية وراثية - أى أن الطفل يولد دون وجود هذا الأنزيم فى جدار الأمعاء - وهى حالات نادرة - بالمقارنة إلى النوع المكتسب الذى كثيرا ما يحدث عقب النزلات المعوية أو نتيجة سوء التغذية أو بسبب تناول بعض الأدوية مثل المضادات الحيوية .

وتقول الدكتورة صافيناز المراغى أستاذة طب الأطفال بقصر العينى : إنه كثيرا ما نلاحظ أن الطفل الذى يشفى من دور إسهال شديد يتعرض أحيانا لنكسة بعد تناول اللبن الصناعى الذى كان يتناوله قبل الإصابة بالنزلة ويعود الإسهال مرة أخرى . ونرى هذه الظاهرة بكثرة عند الأطفال الرضع الذين يتناولون اللبن الصناعى

– ويرجع هذا الاضطراب إلى حدوث تغييرات فى الغشاء المخاطى للأمعاء يؤدى إلى حدوث بعض التلف والخلل فى الأنسجة وفى وظائف الأمعاء – وبخاصة قدرتها على امتصاص المادة السكرية اللاكتوز .

ومن المعروف أن أنواع الألبان الصناعية تحتوى هذا النوع من السكر – وقد أجرت الدكتورة صافيناز بحثا على ٦٠٠ طفل – بعد إصابتهم بنزلة معوية حادة = وأثبتت النتائج أن ٥٠٪ من هؤلاء الأطفال يتعرضون للإصابة بإسهال متكرر إذا تناولوا نفس اللبن مرة أخرى بعد انتهاء الإسهال مباشرة .

الرضاعة الصناعية وضغط الدم :

وقد أعلن فريق من الأطباء الألمان : أن هناك ارتباطا وثيقا بين الرضاعة الصناعية وإصابة الإنسان بارتفاع ضغط الدم فى مراحل عمره المتقدمة – حيث تحتوى الألبان الصناعية – وبخاصة اللبن البقرى – على نسبة ٤٢٪ أملاحا زائدة عما يوجد فى لبن الأم – ومن ثم يخلق عند الإنسان منذ الصغر ميلا طبيعيا إلى إضافة كميات كبيرة من الملح لكل أنواع الأطعمة التى يتناولها – وبالتالى يزيد من احتمال إصابته بأمراض ارتفاع ضغط الدم .

وقد أثبتت الدراسات أن هناك طفلا واحدا من بين كل ٢٠ طفلا يبلغون شهرين . وأن هناك طفلا واحدا من بين كل مائة طفل رضيع ممن يبلغون أربعة أشهر . يحصلون على النسبة المناسبة من الأملاح

– وذلك نتيجة لزيادة الاعتماد على الرضاعة الصناعية – فى حين أن أولئك الأطفال الذين لا يتناولون إلا لبن الأم – يحصلون على ما يحتاجون فقط – حيث يحتوى اللبن على نسبة الأملاح البيولوجية اللازمة للطفل الرضيع .

ويؤكد الأطباء « أنه على الرغم من أن هناك أسباباً كثيرة للإصابة بارتفاع ضغط الدم – كأمراض الكلى المختلفة واضطرابات الجهاز العصبى – إلا أن ارتفاع نسبة الأملاح فى الطعام من الأسباب المباشرة للإصابة به – وإن كان لم يتضح بعد كيفية تسببه فى هذه الاضطرابات حيث ثبت من الدراسات أن استهلاك الفرد – سواء من الدول المتقدمة أو الدول النامية – من الأملاح يصل إلى ١٣ جراما يوميا – فى حين أن ما يحتاجه الجسم لا يتعدى ثلاثة جرامات يوميا – يستطيع الحصول عليها من الخضروات الطازجة الحية – دون الحاجة إلى الأطعمة المملحة .

ويحذر الأطباء الأمهات : من الاعتماد على أطعمة الأطفال المحفوظة إذ تحتوى على نسبة مرتفعة من الأملاح تصل إلى خمسة أضعاف النسبة الموجودة فى لبن الأم -- وكذلك يحذرهن من الاعتماد على مذاقهن الخاص من ناحية الملح فى إعداد الوجبات الغذائية للأطفال – فى حين لا يحتاج الأطفال إلى نسبة الأملاح التى يستسيغها الكبار » .

الأهرام فى ١٩٨٠/١٠/٢٨.

اللبن الصناعى يحد من ذكاء الطفل :

« احذرى أن تعطى طفلك لبنا صناعيا فى شهوره الأولى – حاولى دائما أن ترضعيه من لبنك الطبيعى – لقد ثبت علميا أن اللبن الصناعى يحد من ذكاء الطفل – وأن الأطفال الذين اعتمدوا فى طفولتهم على لبن الأم – هم أكثر ذكاء من الأطفال الذين تربوا على اللبن الصناعى »

هذه الحقيقة العلمية توصلت إليها كلية الطب بجامعة الزقازيق من خلال بحث استمر أكثر من عامين – حيث قام الدكتور مجاهد أبو النجا أستاذ ورئيس قسم الأطفال بالكلية ببحث ميدانى على ٣٠٠ طفل – تترواح أعمارهم ما بين ٣–٥ سنوات – للتعرف عما إذا كان هناك علاقة بين ذكاء الطفل ونوع اللبن الذى تناوله فى شهوره الأولى – ثم تقسيم الحالات الخاضعة للبحث إلى مجموعتين كل واحدة منها تضم ١٥٠ طفلا :

الأولى : اعتمدت على لبن الأم فى نموها .

والثانية : عاشت على اللبن الصناعى .

وقد روعى عند اختيار المجموعتين أن تكونا متشابهتين فى الظروف الاقتصادية والاجتماعية – كما أجريت لهما جميع الفحوص الطبية – للتأكد من خلو أصحابها من الأمراض التى تؤثر على القدرات العقلية مثل : أمراض الغدد وأمراض سوء التغذية وكذلك الأمراض الوراثية – وبعدها بدأ الباحث فى تطبيق قواعد

اختبارات الذكاء على أفراد المجموعتين – وقد شملت هذه القواعد عرض لبعض صور الأشياء وإمكانية كل مجموعة من التعرف عليها – كما استخدم أيضا المكعبات التى تكون بعض الأشياء وعرضها على المجموعتين لتقوم كل مجموعة منها بإعادة ترتيبها فى زمن محدد فماذا حدث ؟

يقول الباحث : « إنه أمكن من خلال هذه الاختبارات التى دامت أكثر من سنتين التوصل إلى عدة حقائق علمية هامة – فقد ثبت أن الأطفال الذين اعتمدوا فى طفولتهم على لبن الأم أكثر ذكاء من الذين كانوا يتناولون لبنا صناعيا – وأن السبب فى ذلك هو أن أسرع مرحلة لنمو المخ فى الإنسان تكون فى العام الأول من حياته وفى خلال هذه الفترة يكون فى حاجة إلى مواد غذائية كاملة – وهى لا تتوافر إلا فى لبن الأم – وأى نقص فى هذه المواد خلال هذه المرحلة – غالبا ما يؤدى إلى نقص القدرات العقلية » .

لماذا كانت الرضاعة الطبيعية هى الأفضل ؟

ذكرت صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر فى ١٩٨٢/٥/٢١ إجابة على السؤال الآتى : لماذا كانت الرضاعة الطبيعية هى الأفضل ؟ يؤكد دبول جيورجى – أخصائى الأطفال بجامعة بنسلفانيا الأمريكية : « إن لبن الأم يعطى الطفل بروتينات ووحدات حرارية ومعادن وفيتامينات ممزوجة بنسب متوازية تشكل الغذاء المثالى للطفل فى أدق مرحلة من مراحل حياته – ولبن الأم مادة

حية تحتوى على عناصر ضد العدوى وتكسبه مناعة من أمراض الطفولة الشائعة » .

وقد أظهرت إحدى الأبحاث التى أجريت فى بريطانيا فى الفترة ما بين عام ١٩٧٨-١٩٨٠ أن هناك علاقة أكيدة بين معدلات الذكاء المنخفضة والتغذية الصناعية .

كيف يحمى اللبن الطبيعى الطفل من الأمراض ؟

هذا السؤال تجيب عليه النشرة الصحية رقم/١ التى أصدرتها جمعية الهلال الأحمر القطرى وقد جاء فيها :—

أولا : هذا الحليب نظيف وليس به مسببات العدوى .

ثانيا : حليب الثدى يجعل تفاعل محتويات الأمعاء حامضيا – وهناك نوع من البكتريا غير الضارة تسمى « لاكتوبا سليس باى فيدس » والتى تنمو بسهولة فى الوسط الحامض وتتكاثر فى أمعاء الطفل – هذه البكتريا تمنع البكتريا الضارة والخطرة من النمو .

ثالثا : حليب الثدى به خلايا « المكروفج » الحية وهى تلتهم البكتريا الضارة – كما أن به خلايا ليمفاوية وهذه تحمل « اللانترفيرون » وغيره من العوامل المضادة للفيروسات .

رابعا : يحتوى لبن الأم على « لاكتوفيرين » الذى يتمسك بالحديد – وذلك يمنع من البكتريا التى تحتاج إلى حديد للنمو .

خامسا : يحتوى حليب الثدى على خميرة ليسوزيم « أى خميرة

توينة » – وهى خميرة تهلك البكتريا .

سادسا يحتوى حليب الأم على جلوبيولينات مناعية أى « امبونوجلوبيولين » تأتى من أنسجة أمه – وهى تحمى الطفل من كثير من البكتريا الضارة وبخاصة التى تصل إليه من أمه .

الرضاعة الصناعية وتصلب الشرايين :

لم يكن أحد يظن : أن الرضاعة الصناعية لها أثر فى تصلب الشرايين فى مستقبل الأيام – إلى أن وقع حادث تصادم لإحدى السيارات منذ عشر سنوات – قتل فيه أربعة شبان فى سن المراهقة – ولما قام الطبيب البريطانى « اسبورن » الذى يعمل رئيسا لقسم الباثولوجى بمستشفيات درلى ببريطانيا بفحصهم – اكتشف مفاجأة غريبة .. فقد تبين له : أن شابين من الأربعة – وهما من كبار الرياضيين مصابان بتصلب الشرايين – وكانت هذه هى بداية الاكتشاف العلمى الخطير – إذ بعد ذلك وفى أثناء قيام الدكتور اسبورن بتشريح جثة طفل رضيع وجد أنه مصاب بتصلب الشرايين – على الرغم من أن عمره لم يكن يتجاوز بضعة شهور .

وبدأت بعد ذلك عملية تجارب واسعة وأبحاث لمدة خمس سنوات – قام خلالها الطبيب بتشريح آلاف الجثث للمتوفين وفى مختلف الأعمار – من شهور إلى منتصف العمر – وتأكد الظن الذى ساور نفس اسبورن : إذ تبين أن هؤلاء الذين أصيبوا بالأزمات القلبية وتصلب الشرايين فى الأعمار المبكرة التى لا يقر الطبيب أن يصابوا بها هو أنهم

رضعوا فى طفولتهم رضاعة صناعية ...

وأصدر الدكتور اسبورن نتائج بحثه الطبى التجريبى الذى أثبت فيه أن الرضاعة الصناعية لا تؤدى مباشرة إلى حدوث الأزمات القلبية – ولكنها تؤدى إلى حدوث اضطرابات فى المعدة – وهى تؤدى بدورها إلى تصلب الشرايين – فإن الاضطرابات تدفع الدم بطريقة غير طبيعية ويتهيج الشريان التاجى عند الطفل فى سن مبكرة .

وهذا هو التفسير المعقول لظاهرة غريبة انتشرت أخيرا – وهى زيادة نسبة الإصابة بالشريان التاجى – وأصبحت تقارب ٨٪ من الأشخاص الذين تدور أعمارهم بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين – وأن هذه الظاهرة لم تكن موجودة منذ قرن من الزمان ولا نصف قرن – وأنها ارتبطت باتجاه الأمهات إلى الرضاعة الصناعية وحرمان الأطفال من أثداء أمهاتهم .

الأخبار عدد ١٠ من رمضان ١٤٠٠

الرضاعة الصناعية وموت الأطفال :

ولم يقف الأمر عند هذه الأمراض من آثار الرضاعة الصناعية – بل أثبتت الأبحاث أن الرضاعة الصناعية تتسبب فى موت أعداد كبيرة من الأطفال – فقد جاء فى مجلة سيدنى التى تصدر فى لندن (عدد ٢٠ من سبتمبر سنة ١٩٨١) مايأتى :

• فى كل عام يموت مليون طفل على الأقل من بلدان العالم الثالث بسبب تغذيتهم أساسا بالحليب الجاف – ومن بين الأطفال الذين

لا يموتون – يوجد عدد كبير يعانون من سوء التغذية ومن حدة الأمراض التى تؤثر على نموهم الجسمانى والسبب « التمدن »

فى البحرين – عندما انتشر وباء الكوليرا عام ١٩٧٨ – أبلغ طبيبان تابعان لمنظمة الصحة الدولية – أنه عند مقارنة ٤٢ طفلا أصيبوا بالكوليرا بعدد مماثل من الأطفال الذين لم يصابوا بها – تبين أن الأسباب الرئيسية كانت راجعة إلى التغذية بحليب صناعى – مما أدى إلى قلة المناعة لديهم وإصابتهم بالمرض – بينما هؤلاء الذين تناولوا حليب الأم لم يتعرضوا للإصابة بالكوليرا ونجوا منها .

وفى دراسة تمت فى مدينة سان باولو فى البرازيل عام ١٩٧٩ على ١٩١ طفلا من أجل قياس معدلات النمو عند إعطائهم حليب الأم ومقارنته بالحليب الصناعى – كانت النتائج مذهلة للغاية وهى كما يلى :–

٢٢٪ من الأطفال الذين تغذوا على حليب صناعى عانوا من مشاكل سوء التغذية بالمقارنة إلى ٩٪ من الأطفال الذين تغذوا بلبن الأم الطبيعى . ٢٣٪ من أطفال الحليب الصناعى اضطروا إلى دخول المستشفيات – بسبب إصابتهم بالأمراض – بالمقارنة إلى صفر٪ من أطفال حليب الأم الطبيعى .

– معظم الأطفال الذين دخلوا المستشفى – كانوا مصابين بحالات من الإسهال الشديد الذى كان من أهم أسباب الوفيات بينهم .

وقد لوحظ أن الدول النامية تنفق الكثير من الأموال على الألبان الصناعية – ويزداد الإنفاق سنة بعد أخرى ،

ففى سنة ١٩٧٢ أنفقت أثيوبيا ونيجريا والفليبين على اللبن الصناعى ١٦٥ مليون دولار .

وفى سنة ١٩٧٦ أنفقت هذه الدول على اللبن الصناعى ٦٠٠ مليون دولار .

وفى سنة ١٩٨٠ أنفقت هذه الدول على اللبن الصناعى مليار دولار

وقد نشرت اليونيسيف فى عام ١٩٨٠ – إحصاء عن الوفيات كالآتى :

– فى العالم المتقدم يموت ٢١ طفلا من كل ألف طفل .
– فى دول العالم الثالث يموت ١١٦ طفلا من كل ألف طفل .
– فى أفريقيا يموت ١٤٠ طفلا من كل ألف طفل .

ولهذا كله ، وجه أربعة آلاف طفل يمثلون ٨٥ دولة فى المؤتمر الدولى فى نيودلهى الدعوة إلى كل أمهات العالم لإرضاع أطفالهن من لبن الأمهات . وجاء فى تقرير الأمم المتحدة « أن الأطفال زهور العالم – وفى العالم – وفى العالم أكثر من ٧٠٠ مليون زهرة فى ١٢٠ قطرا يموتون فى كل عام .

وقد أجمع المؤتمر الدولى على إعلان حقوق الطفل الذى أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة لتؤكد حق الطفل فى الرعاية والتعليم والتغذية السليمة وأساسها الرضاعة الطبيعية .

ولنفس السبب كون البيت الأبيض لجنة تسمى « لجنة البيت الأبيض » لتشجيع الرضاعة الطبيعية . وفى السويد والنرويج - بدأت أجهزة الدعاية فى القيام بحملات دعاية واسعة ومنظمة لشرح فوائد لبن الأم . وفى فرنسا - صدر قانون - ينص على أنه يحق للأم الحصول على أجازة لمدة عامين من العمل للتفرغ للرضاعة الطبيعية للأطفال - على أن تكون الأم قد أمضت فى عملها أكثر من عامين - مع الاحتفاظ لها بنفس الوظيفة والدرجة والعلاوات .

وقد أوصى المؤتمر الدولى الذى عقد فى جامعة الدول العربية لمكافحة سوء التغذية بتشجيع الرضاعة الطبيعية لاحتوائها على المواد الزلالية والفيتامينات التى تقى الطفل من أمراض سوء التغذية والأمعاء

الأهرام فى ١٩٧٩/١١/٢٦

ثدى الأمان :

والحكومة البريطانية - بعد دراسة سنوات - حذرت من استعمال الألبان المجففة - بديلا للغذاء - لغذاء الأطفال الرضع - وأعلنت وزارة الصحة البريطانية « أن المشروع القومى للألبان المجففة كبديل لغذاء الأطفال الرضع له علاقة مباشرة بوفاة ثلاثة آلاف طفل فى كل عام - وحذرت أجهزة الإعلام من استعمال الألبان الصناعية وسموا ثدى الأم ثدى الأمان والرضعة رضعة الأمان .

الوعى الإسلامى عدد صفر ١٤٠١هـ

سرطان الثدى :

والأم تستفيد من الرضاعة الطبيعية لطفلها بقلة إصابتها بسرطان الثدى - يقول د.فريدريك روبين الذى نال جائزة نوبل عام ١٩٧٦ عن أبحاثه : إن نسبة إصابة الأم بسرطان الثدى أقل عند الأمهات المرضعات بل أن الدكتور على إبراهيم أستاذ أمراض النساء والولادة يرى : أن الأم المرضعة لابنها مدة سنتين نسبة إصابتها بسرطان الثدى صفر٪

الأهرام فى ١٩٧٩/١١/٢٦

اقتصادى ومعقم :

وإلى جانب هذا فإن لبن الأم اقتصادى ومعقم وملائم لتغذية الطفل - وهو يقوى العلاقة بين الأم وطفلها - يقول الدكتور على عبد العال فى الأهرام عدد ١٩٨٠/٧/١٨ وهو رئيس جمعية طب الأطفال بالقاهرة يقول : « وقد ثبت علمياأن لبن الأم يحتوى على مادة لاكتومرين التى تحارب نمو الميكروبات فى الأمعاء وبخاصة ميكروب - الكولاى - الذى يسبب معظم النزلات المعوية الخطيرة - كما أنه يثبت ميكروب الاكتوباسيلاس فى أمعاء الطفل - وهو الذى يساعد فى هضم المواد السكرية - ويحتوى على مادة دفاعية ضد الميكروبات العنقودية التى قد تسبب بعض الأمراض التسممية عند الطفل حديث الولادة .

ولذلك فقد أصدر المؤتمر الدولى للأطفال الذى عقد فى نيودلهى

توصياته لكل أمهات العالم بضرورة الرضاعة الطبيعية من لبن الأم » .

لبن الأم يختلف على مدار السنة :

ولبن الأم له ميزة أخرى بالنسبة للطفل أظهرها البحث الذى أجراه الدكتور واصل أبو العلا - أستاذ الألبان بجامعة الزقازيق - فقد أظهرت التحليلات الكيميائية التى أجريت بصفة منتظمة كل شهرين على لبن الأم من حيث نسبة الدُّهون به والبروتين والمواد الصلبة اللادهنية - وكذلك سكر اللاكتوز أن نسبة الدهون فى اللبن كانت أكبر مركبات اللبن تأثرا بشهور السنة المختلفة - فقد بلغ متوسط نسبته ٣,٨٪ خلال الفترة ما بين شهرى يونية وسبتمبر - والتى تمثل أشهر الصيف فى مصر .

ويضيف دكتور واصل قائلا : أنه لوحظ ابتداء من شهر أكتوبر أنه كانت هناك زيادة فى نسبة الدهون بلغت ٣,٥٪ - ثم انخفضت بعد ذلك ابتداء من شهر مايو حيث كانت ٣٪ .

أما نسبة المواد الصلبة اللادهنية فكانت تلى نسبة الدهنيات - من حيث تأثره خلال أشهر العام حيث بلغت نسبتها ٨,٥٢٪ خلال فصل الصيف (شهر يونية) مقابل ٩٪ خلال باقى أشهر السنة - إلا أن نسبة البروتين - لم تظهر اختلافا واضحا خلال شهور السنة - وكذلك الحال بالنسبة لسكر اللاكتوز .

أما البروتين فقد تراوحت نسبته ما بين ١,٦٠٪ إلى ١,٩١٪ بمتوسط ١,٧٣٪ .

ويمكن القول بأن أطفال الشتاء غالبا ما يكونون أصحاء سليمين من الناحية الصحية - وذلك لاحتواء لبن الأم فى هذه الأشهر على أعلى نسبة من المواد المقدمة للطفل .

هذا بالإضافة إلى أن الطقس يكون أكثر ملاءمة للطفل - فتقل نسبة حدوث الاضطرابات المعوية لهم .

العلاقة بين الأم وطفلها :

الاستقرار النفسى للأم والطفل والعلاقة بينهما تكون أكثر فى الرضاعة الطبيعية وغريزة ارتباط الطفل بأمه تبدأ وهو جنين - ثم يزداد هذا الارتباط بمعدل سريع فى فترة الرضاعة - ويكون الارتباط بدرجة كبيرة جدا - إذا كانت الرضاعة طبيعية - وقد جاء هذا فى كتاب صدر عام ١٩٧٩ تحت عنوان : الارتباط والضياع للعالم النفسى جوهان برابلس .

وجاء أيضا فى كتاب « الحب والطفل » الذى صدر فى باريس وألفه الكاتب « تورجانوف » وتحدث فيه عن علاقة الأم بطفلها - وقد ذكر فيه : أن الطفل الذى رضع من ثدى أمه يحبها ويتعلق بها أكثر من الطفل الذى رضع صناعيا بنسبة ٨٠٪

كما أثبتت الأبحاث العالمية : أن الرضاعة الطبيعية تحول الطفل العصبى إلى طفل هادىء - فعندما تتكرر مرات الرضاعة وتتكرر معها رؤية وجه الأم الهادىء الحنون - يتحول طفلها العصبى فى أيام

قليلة إلى طفل هادىء الطباع والمزاج – على عكس الرضاعة الصناعية التى يمكن أن تحول طفلا هادئا بطبعه إلى طفل عصبى المزاج .

سر حنان الأمومة فى الرضاعة الطبيعية :

وقد كشف بحث طبى مصرى : أن هناك عضلات دائرية وعضلات طولية هى التى تتحكم فى إدرار اللبن للطفل الرضيع من ثدى أمه – أثبت البحث الذى أجراه الدكتور سمير طلعت أستاذ ورئيس قسم جراحة التجميل بطب قصر العينى : « أن العضلات الدائرية هى التى تغلق القنوات اللبنية – أما العضلات الطولية فإنها فى حالة انقباضها تقوم بفتح القنوات اللبنية – وهى مشابهة تماما للعضلات الموجودة بفيمة اللبن » .

وكان هدف البحث الذى أجرى على ٢٠ حالة – معرفة دقائق أنسجة الثدى وبالذات المنطقة المتقدمة منه – والتى تتحكم فى إدرار اللبن للطفل الرضيع – بهدف المساعدة فى إجراء جراحات التجميل سواء أكان لتصغير الثدى أم لتكبيره .

وقال جراح التجميل المصرى : « إن البحث كشف عن وجود فجوات مليئة بالدم بين هذه العضلات تتمدد وتمتلىء عند استرخائها – وأهمية البحث ترجع إلى إعطاء صورة كاملة لجراح التجميل وهو يتعامل بالجراحة فى إعطاء الشكل الطبيعى لثدى المرأة » .

وقد فسرت نتائج هذا البحث أن امتلاء هذه الطبقة بالدم فى أثناء رضاعة الطفل قد تفسر بشدة حنان الأمومة الذى ينتج عن الرضاعة

وحب الطفل الرضيع لأمه والذى ثبت أنه يكون أكثر صلابة فى الحالات التى ترضع طبيعيا عنها فى الحالات الصناعية .

الأهرام فى ١٩٨١/١/١٩

العالم يتحرك :

ولكثرة الأضرار التى ترتبت على الرضاعة الصناعية - بدأ العالم يتحرك حتى يقلل من أضرار الألبان الصناعية - فقد وافقت شركة نسلة التى تتخذ من الساحل الشرقى لبحيرة جنيف مقرا لها على عدم الإعلان عن بدائل لبن الأم التى تنتجها أو توزع عينات مجانية أو تقديمها هدايا إلى العاملين فى مجال الطب فى العالم الثالث وتقول جماعة حماية المستهلكين : « إن ألوف الأطفال الرضع توفوا فى الدول النامية بعد أن تمت تغذيتهم ببدائل تم إعدادها فى ظروف غير صحية بدلا من لبن أمهاتهم » .

وشركة نسلة واحدة من بين ٢٠ شركة أخرى مشتركة فى مجال أغذية الأطفال التى تدر حوالى مليارى دولار سنويا - إلا أنها أثارت الجانب الأكبر من الحملة الدولية ضد بدائل لبن الأمهات نظرا لأن ٦٠٪ من سوق البدائل التى تنتجها موجود فى الدول النامية .

وقد قام المشتركون فى الحملة فى الولايات المتحدة بمقاطعة منتجات نسلة هناك عام ١٩٧٧ - احتجاجا على ما وصفوه بأنها سياسات المبيعات العدوانية للشركة فى العالم الثالث .

وقد تزايد الضغط من أجل الاعتراف بأن تغذية الأطفال الرضع على لبن الأمهات هو أكثر أنواع التغذية طبيعة وصحة واقتصادا - حتى أن منظمة الصحة العالمية أقرت مجموعة من القواعد الدولية التى تفيد الدعاية لأغذية الأطفال فى اجتماعها السنوى لعام ١٩٨١ - وكانت نتيجة الاقتراع على القواعد ١٨ إلى ١ - حيث اعترضت الولايات المتحدة فقط على القواعد الاختيارية - وقال مندوبها : « إن بلاده تعارض تدخل المنظمة فى التشريعات التجارية » .

وقد استقال الدكتور ستيف جوزيف كبير المستشارين الطبيين لوكالة التنمية الدولية الأمريكية احتجاجا على معارضة واشنطون قائلا : « إنها عديمة الضمير وتلحق الضرر بصحة ونمو أطفال العالم - ويقول الدكتور دريك جيليف أخصائى التغذية فى جامعة كاليفورنيا : إنه فضلا عن ألوف حالات الوفاة - فإن حوالى عشرة ملايين طفل يعانون من سوء التغذية أو الإصابة بالأمراض المعوية سنويا - بسبب تغذية الأطفال بزجاجات الرضاعة على نحو غير صحيح .

دعاية الشركات :

وقد استهدفت شبكة العمل الدولية فى حملتها أساسا الدعاية عن أغذية لها فى كل وسائل الإعلام وبتوزيع عينات مجانية على الأمهات فى أيام الأسواق بالقرى وبتقديم إمدادات من بدائل لبن الأمهات إلى المسئولين المحليين فى مجال الطب .

وقال المشتركون فى الحملة : « إن بدائل لبن الأمهات قد قدمت على أنها الطريقة الحديثة والصحية لتغذية الأطفال حتى فى بعض أفقر الدول فى العالم .

وأضافت شبكة العمل الدولية أنه فى بنجلاديش على سبيل المثال : أشيد بالبدائل على أنها أفضل غذاء للطفل . وقد وزعت العيادات الطبية فى زيمبابوى كتيبات من إحدى الشركات المنتجة لغذاء الأطفال الرضع تصور أمهات من البيض وأطفالهن وتقول : « هناك فرصة سانحة لأن تكونى بين ٨٠٪ من السيدات اللاتى بدأن يغذين أطفالهن الرضع على غذاء معد بديل عن اللبن – وقد هدفت القواعد التى أقرتها منظمة الصحة العالمية فى مايو عام ١٩٨١ إلى تقييد هذه الدعاية إلى أكبر قدر ممكن بدعوتها الحكومات إلى إصدار قوانين تحظر كل دعاية للأغذية البديلة عن لبن الأمهات وتقديم عينات مجانية إلى الأمهات والأطباء ومسئولى الصحة » .

الراية القطرية فى ١٩٨٢/٣/٢٤

لغة خاصة :

إن بين الأم وطفلها لغة خاصة – يفهم كل طرف منها ما يعنيه الطرف الآخر – وهذا مالفت نظر المصورة الصحفية سوزان سامر فألفت فى هذا الموضوع كتاب عنوانه : « اللغة غير المتكلمة للأطفال » بالتعاون مع أستاذة علم النفس اليزابيت ناليبرورس

فهو يعرض ويصور كيف يستعمل الأطفال حركات الجسم كوسيلة للاتصال ومن ذلك :

لغة الحواجب : رفع أحد الحاجبين يكون فى معظم الأحيان تعبيرا عن عدم الثقة أو عدم تصديق ما يقال له . أما رفع الحاجبين معا – فيدل على الدهشة وانخفاضها يعنى الشك .

لغة الأكتاف : عندما يرفع الطفل أحد كتفيه – فهو يقول : أنا لا أكترث أو لا أعلم . ورفع الكتفين معا يشير إلى الخوف . أما الأكتاف المربعة فتكون دليلا على العزم والتصميم . وانخفاضهما يعنى : أن الطفل يشعر أنه مثقل بأعباء يمكن أن تكون حقيقة أو من نسج خياله .

لغة الأيدى : أكثر الأشكال شيوعا بين الأطفال هى رفع اليد إلى الفم – علامة على الحيرة والارتباك – أما رفع اليد إلى الرأس – فدليل على أن الطفل يشعر أنه مثقل بمهمة كلف بها .

الشعور بالغضب : يتمثل فى سحب الحاجبين معا حتى يتقاربا والفم إلى أسفل .

الإحساس بالملل : يتمثل فى جذب الشعر والتحديق فى شىء معين لفترة طويلة .

« تلخيص الأهرام فى ١٩٨٠/٩/٢١ »

* * *



الفصل الثالث
المساواة بين الرجل والمرأة
فى
الحياة الغربية المعاصرة

المساواة بين الرجل والمرأة :

المساواة بين الرجل والمرأة كلمة خادعة أعطت الرجل فرصة ليتحلل من تبعاته الاقتصادية نحو المرأة ونحو الأسرة ، وهى من جانب المرأة قد أعطتها فرصة للتحلل من قيود الأسرة .. وفى ظل وسائل الدعاية والإعلام أصبح الغرب كله والشرق المتأثر بالغرب ينظر هذه النظرة ويؤمن بهذه الفكرة على أساس أنها نموذج حضارى .. وترتب على هذا أشياء كانت سببا فى تدهور الصحة النفسية والجسمية للفرد والمجتمع على حد سواء .

تقول الكاتبة الانجليزية الليدى كوك : إن الاختلاط يألفه الرجال – ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا – وهذا بلاء عظيم على المرأة .. ثم قالت : « علموهن الابتعاد عن الرجال أخبروهن بعاقبة الكيد الكائن لهن بالمرصاد » ونلاحظ أن هذه الكاتبة تدرك الكارثة التى ستصيب بنات جنسها أولا وتدمر كيان الأسرة ثانيا – وهى لذلك تنصح

وتطالب بتبصير المرأة بخطر الطريق الذى تسير فيه .

ويقول شوبنهور الألمانى : « قل هو الخلل العظيم فى ترتيب أحوالنا الذى دعا المرأة لمشاركة الرجل فى علو مجده وباذخ رفعته وسهل عليها التغالى فى مطامعها حتى أفسدت المدنية الحديثة » .

والدكتورة ماريون هيليارد أستاذة علم النفس التى قضت أكثر من ٤٠ عاما تدرس سيكلوجية المرأة والرجل معا قالت : « المرأة أضعف من الرجل وأكثر تأثرا وحساسية وهى لذلك متعطشة دائما للتقدير – تقدير دورها كزوجة وأم .. فكم من امرأة ضحت بعملها الذى كانت ترتزق منه قبل الزواج من أجل بيتها وأسرتها .. وكم من امرأة بقيت وحدها ترقب زوجها وهو يصعد سلم النجاح على حساب سعادتها وراحتها » .

تخلخل الأسرة :

وعمل المرأة مع الرجل ينشأ عنه تخلخل فى الأسرة يقول ساموبل سمايلز الإنجليزى : « إن النظام الذى يقضى بتشغيل المرأة فى المعامل مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فإنه نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية لأنه هاجم هيكل الأسرة وقوض أركان المنزل وفرق الروابط الاجتماعية – فإنه يسلب الزوجة من زوجها والأولاد من أقاربهم – وصار لا نتيجة له إلا إفساد أخلاق المرأة – إذ إن وظيفة المرأة الحقيقية هى القيام بالواجبات المنزلية مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها والاقتصاد فى وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات البيتية

- ولكن المعامل سلختها من كل هذه الواجبات - بحيث أصبحت المنازل غير المنازل وأصبح الأولاد يشبون على عدم التربية ويلقون فى زوايا الإهمال - وأطفئت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والقرينة المحبة للرجل وصارت زميلة فى العمل والمشاق وباتت معرضة للتأثيرات التى تمحو غالبا التواضع الفكرى والأخلاقى » .

ويقول أحد الكتاب الأوربيين : « إن المرأة الأوربية كانت بردائها القديم خير مثل للرقة والأدب فى المجتمع وكانت الزوجة الصالحة .. وبلباسها الجديد تكشف عن عورة الأنثى لتؤكد المعنى الجسدى الذى يتمسك به مجتمع ساده الغرام باللذة العاجلة » .

« وخروج المرأة الأوربية جعل لها حرية مشئومة لم تنتفع بها هى ولا المجتمع - ففقدت الشعور بالعاطفة نحو الأسرة وأصبحت امرأة تشبه رجلا وجنت أوربا ثمار الأسرة المنحلة وأصبحت العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة فى الحضارة الغربية قائمة على الناحية الجنسية وحدها ... وبذلك خمدت العاطفة بين الزوجين فى الأسرة - وبخاصة وأن الفرد هناك يقضى وطره مع من يريد ومتى يشاء - وبذلك لم يعد هناك احترام للأسرة ولا تقديس للأبوة والبنوة »

ونتيجة لإهمال الحضارة الغربية لعلاقة الرجل والمرأة واعتبارها جنسية فقط - لم يعد عندهم أى ترابط داخل الأسرة من أى نوع - حتى بين الآباء والأبناء وبذلك ضعفت العلاقات بين الناس جميعا .. وقد وصل الأمر فى بعض البلاد الغربية إلى أن يعلنوا عمن

يموت بالإذاعة إذا كان له أقارب ليحضروا جنازته – ثم لا يحضر إلا القسيس وعامل الدفن الموظف الذى يؤدى وظيفته .

فهم خاطىء :

يقول أبو الأعلى المودودى فى كتابه الحجاب (ولقد فهموا فى الغرب من معانى المساواة ألا يكون الرجل والمرأة متساويين فى الحقوق البشرية والمنزلة الخلقية فحسب – بل أن تؤدى المرأة فى الحياة المدنية ما يؤديه الرجل من الأعمال – وأن يرخى لها من عنان القيود الخلقية مثلما أرخى للرجل من قبل) .

فهذه الفكرة الخاطئة للمساواة – جعلت المرأة منحرفة عن أداء واجباتها الفطرية ووظائفها الطبيعية التى يتوقف على أدائها بقاء المدنية .. بل بقاء الجنس البشرى بأسره واستهوتها الأعمال والحركات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وحببتها إلى نفسها بكل ما فى طبعها وشخصيتها ..

فمعارك الانتخابات النيابية ووظائف المعامل والمكاتب ومنافسة الرجال فى المهن التجارية والصناعية الحرة والمشاركة فى الألعاب والمسابقات الرياضية وحضور مجالس اللهو العاصف والظهور على المسارح والاشتراك فى حفلات الرقص والسهرات العامة – هذه وأمثالها من مشاغل الحياة ومتعها وأسباب اللهو والمجون التى يمنع عن ذكرها الحياء من خفايا هذه المدنية .

« هذه كلها استولت على مشاعر المرأة وشغلت أفكارها وعواطفها شغلا أذهلها عن وظائفها الطبيعية وطرد من برنامج حياتها القيام بتبعات حياتها الزوجية وتربية الأطفال وخدمة تنظيم الأسرة - بل كره إلى نفسها كل الأعمال التى هى وظائفها الفطرية الحقيقية ومن عواقب ذلك : أن النظام العائلى الذى هو أساس المدنية ودعامتها الأولية قد تبدد شمله فى الغرب - والحياة البيتية التى يتوقف على هدوئها وطمأنينتها قوة الإنسان العلمية ونشاطه - تكاد تنعدم وتدخل فى خبر كان »

والمرأة التى قد تصبح أماً تلاقى فى سبيل المحافظة على طفلها وهى حامل أو بعد الولادة كثيرا من ضغط العمل بحيث نراها تزهد فى الأمومة وتحرص على عدم إنجاب الأطفال .

ورغبة المرأة الغربية المعاصرة فى عدم الزواج كنظام لحياة الأسرة - يرجع إلى عدم قدرتها على الوفاء بواجبات الزوجية فى المنزل وفى المعاشرة من جهة والوفاء بمتطلبات العمل خارج البيت من جهة أخرى - وإقبالها على نظام المشاركة للرجل الأجنبى عنها فى غير زواج فى السكنى وفى الإنفاق - لأنه البديل عن المعاشرة الزوجية بين المرأة والرجل من جانب - وبديل ليس فيه التزامات تجبرها على الارتباط بها من جانب آخر - سوى الشخصية فى المشاركة أو عدم المشاركة .

وما أكثر المؤتمرات التى تنعقد للبحث عن حقوق المرأة والتى تنتهى إلى لا شىء .. لقد وضعوا المرأة بعيدا عن موضعها الطبيعى

واصبحوا يفكرون فى حل المشكلات التى نجمت عن هذا الوضع – ولعل من آخرها مؤتمر برلين الذى عقد عام ١٩٧٨ وحضره مندوبون ومندوبات لثمانى دول – وكان ثلث الحاضرين من الرجال .

تقول مجلة نيويورك تايمز « انتهى المؤتمر باتساع هوة الخلاف – وقد انعقد أصلا للتقريب بين وجهات النظر : فريق يطالب للمرأة بحقوق أكثر على رأسها أن تحصل الزوجات من الأزواج أو من الدولة على جزاء مادى لقاء رعاية الأطفال والعناية بالبيت . وفريق يطالب الرجال والدولة للقيام بأى شيء يخفف عن المرأة هذه الواجبات – حتى تتاح لها فرصة أن تحيا حياة شبيهة بحياة الرجل بقدر الإمكان .

كان الطرفان يدافعان عن المرأة – ولكنهما لم يتفقا على زاوية الدفاع ولا على ما ينبغى لها أن تحصل عليه وقد طالبت إحدى المندوبات بضرورة دفع أجر للمرأة لقاء قيامها بالعمل فى بيتها على أساس أنه لا عمل بدون أجر وإلا أصبح نوعا من السخرة ورد أحد الرجال قائلا : « فماذا إذا قام الرجل بهذا العمل هل يدفع لنفسه ؟ »

أجر العبودية :

وقد يسأل سائل : وما الداعى إلى هذا كله ؟ ويجيب على هذاالسؤال مقال لصحفية بريطانية كتبته فى صحيفة الجارديان اسمه « أجر العبودية » ناقشت فيه قضية المرأة وعملها من الأساس

وسألت : ما الشيء الذى دفعنى إلى الخروج من البيت للعمل ؟ بالطبع رغبتى فى عمل شيء يرضينى ويحقق ذاتى أكثر من شغل المرأة وكذلك تطلعى لأعرف من أنا ؟ لأن الإنسان لا يعرف من هو بمجرد رؤيته نفسه فى المرآة والسبب الثالث : أن أحقق شيئا من الاستقلال الاقتصادى .

وتمضى الكاتبة قائلة : « حين تزوجت بقيت فى المنزل وقمت بكل الأعمال ورعيت أطفالى – وكان زوجى كريما معى فى الناحية المادية بقدر ما يسمح به دخله وكنت أقول له شكرا – وهنا النقطة – هل كان يقول شكرا لصاحب عمله حين يعطيه أجره ؟ لقد كانت نقوده حقا له، أما نقودى التى يعطينيها هو إشارة إلى كرمه – وبقيت كذلك سبع سنوات – ولكن حين وقع الطلاق أخذ زوجى كل شيء – المشتريات والمنزل والمدخرات ووعيت الدرس وقررت أن أجد عملا .. عملا أنال عليه أجرا .

والآن وأنا امرأة حرة ولست عبدة – فما هو العبد ؟ هو الشخص الذى لا يؤجر على عمله – وإن كثيرات من نساء هذا العصر يشبهن عبيد الرومان واليونان قديما – يقمن بعمل البيت ويربين الأطفال ويرضين الأزواج ولا ينلن أى أجر على هذا العمل .. لقد كنت ربة بيت وكذلك كانت أمي وجدتى فأنا سليلة أجيال من العبيد ... حقيقة رفضتها وتغلبت عليها ويمكن لسيدات البيوت ألا تقبلن هذا الشيء المسمى « أجر العمل المنزلى » فهو شكل جديد من أشكال العبودية – فلو أنكن اتخذتن أجرا على عمل البيت لصار

واجبا مفروضاً – لا شيء تقمن به بدافع الحب ... حب البيت والأطفال والزوج .

إن هذه الكاتبة عاشت سعيدة فى بيتها مع زوجها وأولادها سبع سنوات – ولكنها حين طلقت وجدت نفسها قد فقدت كل شيء – والذنب ليس ذنبها – وإنما هو ذنب المجتمع المخلخل الذى لم يجعل لها حقوقا تجاه زوجها السابق وأسرتها الأولى – فثارت عاطفتها وقالت ما ظنت أنه الأسلوب الأمثل لحياة المرأة – وهى بذلك لم تر إلا الجانب القاتم من الصورة فقالت ما قالت ..

المرأة بين العمل والبيت

متى خرجت المرأة إلى العمل ؟ ولماذا خرجت تاركة وظيفتها الأساسية ؟

يجيب على هذه الأسئلة الدكتورة : مرجريت بش – عالمة انتوغرافية « متخصصة فى علم السلالات البشرية » وأنتروبولوجية « متخصصة فى علم البشريات » فى الولايات المتحدة – قد نشرت هذه الإجابة فى مجلة مستقبل التربية العدد الثالث عام ١٩٧٥ – قالت العالمة :—

حدث فى العالم ثورتان أدتا إلى تغيير الوظيفة الرئيسية لكل من الرجل والمرأة تغييرا جذريا .

١ - الثورة الصناعية :

التى طوحت بالمرأة فى عالم حرمت فيه من القلب الحنون - فلم تجد أبا أو أخا أو زوجا أو قريبا - يعنى بها وبأولادها - وبذلك نشأ ضرب جديد من الاستغلال .

٢ - الثورة الطبية :

التى كافحت الأمراض الوبائية وخفضت من وفيات الأطفال ومكنت المرأة من تحديد النسل وقللت الإنجاب .

فالمرأة - إذن قد اضطرت إلى العمل اضطرارا - حين كثرت النساء العاملات - ظن الناس أن هذا هو الوضع الطبيعى - ولعل هذا هو الذى جعل الأمم المتحدة تقرر إعتبار عام ١٩٧٥ عاما دوليا للمرأة - وقد دعا مؤتمر المرأة فى عامها الأول الدولى لإشراك النساء إشراكا كليا فى تحقيق الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية - كما دعا لإسهامهن فى تحقيق التعاون والتفاهم والصداقة بين شعوب الأرض قاطبة .

ومن هنا نلاحظ أن المرأة نفسها - قد خدعت بهذه الفكرة وأصبحت تنادى بها على أنها ميزة لها على أن بعض النساء تنبهن إلى خطورة هذه الفكرة ونادين بعودة المرأة إلى وظيفتها الطبيعية .

فالسيدة جان مارتان سيسيه : سفيرة غينيا لدى الأمم المتحدة - تعرضت لهذا الموضوع فى مجلة مستقبل التربية فقالت : « فى المجتمعات المتمسكة بالتقاليد القديمة - ينتمى الفرد فيها

نة أو العشيرة وتتسم تربيتها بطابعها – ولما كانت المراة هى نواة الخلية الاجتماعية – أى نواة الأسرة – فإنها أقدر من سواها على لقيام بتربية الطفل وتهذيبه – وهى أمينة على التراث الموروث .. وأضافت قائلة : الإنجابُ كان مهمة المرأة الأولى وكانت المرأة هى التى تقوم بتربية أولادها – فهى التى تتولى تشكيل العجينة تاركة للمجتمع القيام بإتمام عجنها وقد تميزت هذه التربية بغرس الشعور بالشرف منذ الصغر وتقوية الرغبة فى الدفاع عن الوطن والركون إلى الأعمال النبيلة – ثم قالت :والمساواة بين الرجل والمرأة لا وجود لها فى تربية الأولاد – لأن المرأة هى التى تقوم بتربيتهم ذكورا كانوا أو إناثا – فهى التى تربى الرجل – ولذا وصفت بأنها : المربية الأولى والمعلمة الرائدة »

وحين خرجت المرأة إلى العمل بدأاستهلاكهايزيد وظهر السؤال :

ماذا تستهلك المرأة ؟

وقد أجاب على هذا السؤال السيدة مارى ألتو – الباحثة بجامعة باريس ومستشارة اليونسكو فى مجلة مستقبل التربية فقالت : « أصبحت المرأة الحضرية فى مجتمع اليوم أساسا للاستزادة من المال والأرباح – وهدفا للإغراء والترغيب فى الإقبال على الاستهلاك من مختلف البضائع المطروحة للبيع فى الأسواق .

والواقع أن المرأة الحضرية أكثر من زوجها تأثرا بالدعاية الضخمة المغرية التى يطلقها التجار ترويجا لبضائعهم وترغيبا فى شرائها

– ويلاحظ أن زوجها يتخفف من أعباء التموين المنزلى ومشاكله ليلقيه على عاتقها مستريحا مطمئنا .. »

وتستمر مارى ألتو قائلة : ومن أهم السلع التى تهتم الدعاية التجارية بالترويج لها وإغراء النساء بالإقبال عليها وعلى شرائها – مواد التجميل وأدواته من الثياب المتطورة المتغيرة – تبعا لتغير الفصول والشهور – بل والأيام أحيانا – وهكذا تجد المرأة نفسها عرضة للاستهلاك فى ميولها وعواطفها فضلا عن استغلالها فى ميادين الأعمال .

هل المرأة سعيدة بهذا ؟

تقول الكاتبة الإنجليزية الشهيرة « أنا رورد فى مقالة نشرتها جريدة الأسترون ميل الإنجليزية » لأن تشتغل بناتنا فى البيوت خوادم أو كالخوادم – خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد . ثم هتفت قائلة فى حسرة : « ألاليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف رداء – إنه عار على بلاد الإنجليز أن نجعل بناتنا مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال – فمالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام فى البيت وترك أعمالها أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها وحفاظا على أنوثتها .

منار الإسلام عدد ذى القعدة ١٤٠١هـ

وبعد مضى فترات طويلة من عمل المرأة – بدأت الصحف تنشر أخبارا عن هموم المرأة العاملة فى الغرب .

لا مساواة لا عدالة لا تكافؤ :

هذه صرخة المرأة فى المجتمعات الغربية – كما جاء فى الدراسة التى نشرتها صحيفة الغرب القطرية فى ١٩٨٠/٦/١١ وقالت : « أن الكونجرس الأمريكى ليس به إلا ١٧ امرأة وواحدة فى مجلس الشيوخ وفى فرنسا ١٨ نائبة من أصل ٤٩١ وفى سويسرا ثلث النساء حرمن من التصويت »

فى أمريكا :

وفى أمريكا لا تتمتع المرأة فى الولايات المتحدة بمساواتها مع الرجل حتى من الناحية الشكلية – وهذا الحكم أطلقته اللجنة الأمريكية – للحقوق المدنية – وتؤكد هذه اللجنة أن القوانين السارية فى الولايات المتحدة تقنن الظلم الذى تعرض له النساء الأمريكيات عبر إعطائها امتيازات للرجل على المرأة أكثر من ٨٠٠ فصل ومادة من هذه القوانين السائدة »

وقالت الدراسة : ومنذ نصف قرن لم يبت فى مصير التعديل السابع والعشرين للدستور الذى ينص على المساواة أمام القانون بغض النظر عن الجنس وذلك لأن التعديل يحتاج إلى موافقة ٣٨ ولاية

من الولايات الخمسين – وحتى الآن لم يوافق على هذا التعديل سوى ٣٥ ولاية .

واستمرت الدراسة تقول : كان أجر المرأة فى عام ١٩٥٩ هو ٦٣,٩٪ من أصل أجر الرجل الحاصل على نفس المؤهل وفى عام ١٩٧٨ انخفض إلى ٥٨,٩٪

وقالت مجلة « بتش » إن واقع المرأة الأمريكية هو الأجر المنخفض وظروف العمل الصعبة والتمييز المهنى وقلة مؤسسات تربية الأطفال .

فى ايطاليا : تحصل المرأة على أجر يقل عن الرجل بـ ٣٠٪

وفى فرنسا : يصل الفرق إلى ٣٣٪

وفى اليابان : ٤٠٪

وفى سويسرا : نشرت اللجنة الاتحادية السويسرية تقريرا حول وضع المرأة قالت فيه : « أن ثلث النساء السويسريات محرومات حتى الآن – لأسباب مختلفة – من حق التصويت فى انتخابات هيئة الإدارة المحلية – وأن قضية مساواة المرأة بالرجل فى سويسرا ما زالت دون حل .

وفى أمريكا : لا تشغل المرأة سوى ٥٪ من الوظائف المنتخبة وبصورة أساسية فى هيئات السلطة المحلية – إذ يبلغ عدد النساء حوالى ٥٩,٣٪ من السكان ، ٥٣,٢٪ من الناخبين . ومن أصل ٥٥٤٧ مقعدا فى برلمان السوق المشتركة التسعة – يوجد ٣٥٧ نائبة

– أى أقل من ٦٪ من البرلمانيين – بينما تقترب نسبة النساء فى هذه البلدان من ٥٢٪ .

وفى فرنسا : يوجد ٤٩١ نائبا – منهم ١٨ امرأة فقط .

والبرلمان اليابانى : ليس به إلا ٣٪ من النساء من أعضاء البرلمان .

البطالة :

وتقول الدراسة : إن البطالة تنتشر بين صفوف النساء فى أمريكا أكثر بمرة ونصف من انتشارها فى صفوف الرجال – وتبلغ نسبة النساء اللواتى يعشن تحت مستوى الفقر المتعارف عليه ٦٣٪ من الأمريكيين .

وفى أمريكا : كانت نسبة الفتيات خلال عام ١٩٧٧/٧٦ الدراسى – من طالبات الطب ٢٥٪ وطالبات الهندسة ٦٪ والحقوق ٢٠٪ والفيزياء ١٪ والعاملات المؤهلات فنيا ٣٪ .

وتقول مجلة يواس نيوزاندد دولد ريبورت : أن ٨٠٪ من الأمريكيات العاملات يتقاضين رواتب متدنية قياسا إلى رواتب الرجال .

وفى فرنسا : كثير من المعاهد العليا والمدارس المهنية الفرنسية مغلقا فى وجه الفتيات – ولا يدرس فى المعاهد التجارية الفرنسية سوى ٧٠ طالبة من مجمل ٥٢٠٠ .

[illegible] كترونية يدرس به ٦٢ طالبة – من أصل ٢٦٠٠ ونسبة المهندسات ١,٨٪ والطبيبات ٦٪ والفنيات ١١٪ .

فى اليابان : لا تزيد نسبة من يلتحقن بالمعاهد العليا هناك من الفتيات عن ١٠٪ ممن أنهين الدراسة الثانوية – أما فرص الحصول على عمل بعد الدراسة فهى قليلة – وفى عام ١٩٧٩ لم يحصل على عمل سوى ٢٠٪ من خريجات المعاهد العليا والكليات التى تستمر مدة الدراسة فيها سنتين وتشكل النساء ٨٪ من المدرسين فى المعاهد و ١٠٪ من الأطباء .

ونسبة النساء اللاتى يتمتعن بعضوية النقابات الأمريكية فى تناقص مستمر – فقد كانت النسبة ١٧٪ فى عام ١٩٥٠ وأصبحت ١٢,٥٪ فى عام ١٩٧٨ والأمريكيات غير النقابيات محرومات عمليا من الحماية القانونية – ومن المعاش التقاعدى والأجازات الثانوية والأجازات المرضية المدفوعة الأجر – وأجور هذه الفئة من النساء تقل بنسبة ٢٥٪ عن النساء النقابيات – مما يزيد من متاعب المرأة العاملة فى المجتمعات الغربية– ومما يزيد من متاعب المرأة عدم وجود مؤسسات لتربية الأطفال وعدم وجود قوانين لحماية الأمومة والطفولة أو ضمانات لأجازات الحمل والولادة المدفوعة الأجر – وفى هذا الصدد ذكرت مجلة « بوليتكل افريز » الأمريكية أن مؤسسات حضانة الأطفال فى الولايات المتحدة الأمريكية – لا تتسع لأكثر من مليون طفل – وهذا رقم متواضع للغاية .

هموم المرأة الأمريكية :

وقد نشرت صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر فى ١٩٨٠/٧/١٢ دراسة تحت عنوان « هموم المرأة الأمريكية » قالت فيها : « تقول جلوريا ستاتيم رئيسية تحرير مجلة « مز » : « إن هذه القضية أساسية – لأنها تمس آدمية المرأة – ولابد أن يتحرر جسد المرأة كأساس للتحرر السياسى وهذه القضايا هى الاعتداء على الفتيات والنساء وضرب الزوجات والاضطهاد بسبب الجنس والعنف داخل العائلة الإجهاض – ولكن ليس معنى ذلك : أن المرأة الأمريكية تركت جانبا بقية القضايا وفى مقدمتها :

– المساواة فى الأجر : فمن الثابت حسب إحصاءات مكتب العمل : أن المرأة التى تقوم بنفس عمل الرجل تحصل على أجر يوازى ٦٣٪ من أجره .
– فرص التدريب والتقدم المهنى .
– الأمن والأمان فى الوظيفة : فالمرأة نظراً لحداثة عهدها بالعمل – هى آخر من يعين وأول من يفصل .
– الاضطهاد بسبب الجنس .

دور الحضانة : فإحصاءات عام ١٩٧٨ تقول : « إن ٥,٨ مليون امرأة عاملة أى ٤٤٪ من مجموع قوى العمل النسائية لديهن طفل واحد على الأقل فى سن ما قبل الدراسة – وذلك مقابل ٣٠٪ سنة ١٩٧٠ – وهذا يعنى أنه مطلوب ٥,٨ مليون مكان على الأقل فى دور الحضانة – بينما المتاح هو مليون فقط .

الارقام تقول :

والأرقام تقول عن المرأة : إنه من بين ٤٤١ مهنة وعمل ووظيفة – فإن المرأة لا تعمل إلا فى ٢٠ نوعا فقط . وأن النساء اللاتى يمكن القول بأنهن وصلن إلى مراكز مرموقة لا يزيد عن ٢,٣٪ – والمعيار هنا هو ألا يقل المرتب عن ١٥ ألف دولار .

والمرأة فى مجموعها لا تحصل على أجر متساو مع الرجل – وتتحمل أعباء أكثر من طاقتها فهى تعمل فى البيت بالإضافة إلى ٨ ساعات عمل يوميا .

قضايا أخرى :

وتستمر الدراسة قائلة : إن قضايا ضرب الزوجات وإساءة معاملتهن أصبحت تمثل المكان الأول فى قضايا الطلاق وبلاغات الشرطة – فضلا عن أن الزوجة تستمد رخصها الاقتصادى من زوجها – بمعنى أنه بمجرد طلاقها – تفقد وضعها فى أن يكون لها وضع اقتصادى يسمح لها بأن تبتاع بالتقسيط – وهى قضية أساسية فى أمريكا – بالإضافة إلى أن عمل الزوجة – وبخاصة فى الريف – لا يعتبر عملا إنتاجيا اقتصاديا لها إذ يخضع نصيبها فى الميراث لضريبة التركات بعكس زوجها المعترف بدوره الإنتاجى – فميراثه من زوجه لا يخضع للضريبة – والمرأة الأمريكية بعد زواجها تدفع ضرائب دخل بنسبة أعلى من غير الزوجة – ولذلك بدأ عدد من الأزواج ينفصلون بالطلاق عندما يقترب موعد تقديم الإقرار الضريبى – ثم يتزوجون من جديد بعد تقديم الإقرار .

المساواة الشكلية أنتجت جنس ثالث .

فى دراسة عن أول حركة انشقاق نسائية – كشفت تدهور أوضاع المرأة فى ظل المساواة الشكلية وكيف ظهر الجنس الثالث بعد تحرير المرأة الروسية – وقد نقلتها صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر فى ١٩٨٢/١/٣ عن الأوبررفر وجاء فى هذه الدراسة ما يأتى : ظهرت ضمن جماعات المنشقين فى الاتحاد السوفيتى مؤخرا حركة نسائية منشقة – بدأت فى مدينة لينجراد – وراحت تنشر فى مختلف أنحاء الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشيوعية .

« لقد كانت منشورات ومطبوعات المنشقين السوفييت التى تصل إلى دول الغرب حتى السنوات الأخيرة لا تشير إلى حقوق المرأة فى حد ذاتها وتركز فقط على حقوق الإنسان بصفة عامة – وكان الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة هو كتاب العالم السوفيتى الشهير « أندريه زخاروف » (الخطر والأمل) الذى لفت الأنظار إلى الآثار الخطيرة التى ينتجها النظام السوفييتى الشمولى على الصحة البدنية والعقلية للنساء وتدهور معدل المواليد فى الاتحاد السوفييتى بسبب هذه الآثار » .

وفى ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٧٩ وهو يوم الاحتفال بذكرى إعلان حقوق الإنسان – ظهرت أول نشرة متخصصة فى شئون المرأة تحت عنوان « تاريخ المرأة الروسية » قامت بتحريرها النساء المنشقات وتضمنت مقالات وأبحاثا وأشعارا وقضايا تاريخية حول مشكلات المرأة على وجه التخصص – وكشف النقاب عن الفارق بين صورة

المرأة فى الأيدلوجية الشيوعية وبين الواقع المرير الذى تحياه النساء فى الواقع داخل الاتحاد السوفييتى .

وقد ذكر فى هذه النشرة قصص الإجهاض فى مستشفيات الإجهاض التى أطلقوا عليها – مفارم اللحم – كما ذكر أيضا حكايات عن اغتصاب الأزواج المخمورين لزوجاتهم ومعسكرات الاعتقال الصغيرة التى يعيش فيها الأطفال تحت اسم « معسكرات الطلائع » والسجن بتهمة البطالة والطفيلية الذى توضع فيه النساء وغير ذلك من الروايات .

وقد كان لهذه النشرة النسائية تأثير كبير – ليس داخل روسيا فقط – وإنما أيضا فى الخارج وبخاصة فى أوساط الحركة النسائية فى باريس – حيث ظهرت لها فورا نسخة مترجمة إلى الفرنسية – واهتمت الصحف النسائية وغير النسائية فى فرنسا بكاتبات هذه النشرة وأجرت معهن الأحاديث الصحفية المتعددة حول أوضاع النساء فى الاتحاد السوفييتى .

وعلى الرغم من التشابه بين مشاكل المرأة الروسية وبين مشاكل النساء فى الدول الغربية – فإن معظم المشاكل التى ذكرتها النشرة كانت روسية بحتة – وكان واضحا أن النساء السوفييت معجبات بالمدى الذى وصلت إليه حركة المرأة الغربية – ولكنهن لا يشاطرنها نفس الآمال التى زعمن أنها تحققت بفضل الثورة الروسية – حيث أصبحت المرأة الآن فى الاتحاد السوفييتى رائدة فضاء وعاملة فى المصانع .

بل على العكس فإن معظم مطالب المرأة الروسية - كانت تسير فى خط معاكس - فالمساواة التى وعدتهن بها الثورة الروسية - قد دمرت نمط الحياة النسائية السابقة دون أن يؤدى ذلك إلى إسعاد المرأة الروسية بأى حال من الأحوال - وكما ذكرت الصحفية المنشقة كبراسا بكير : لقد كفّ الرجل عن أن يكون حامى المرأة ولكنه لم يتحول بعد أن يكون شريكا يشاطرها كل شيء - وقد حذرت هذه الصحفية فى مقالها نساء الغرب من التطرف فى دعوة المساواة التى تدمر قيم الأسرة والأمومة وتطيح بدور المرأة كمصدر للحب والحنان والاستقرار والحركة لا ترفض مبدأ المساواة ولكنها ترفض المساواة الشكلية التى تساوى المرأة بالرجل حتى فى الأعمال التى يسعى العلم إلى تخليص الرجال منها .

مساواة زائفة :

أما تانيا ناحو تشيفا - وهى فيلسوفة ذات تعليم ماركسى - فقد أبدت فى مقالها كل ماذكرته زميلتها الصحفية كيراسا بكير وأضافت تقول : « إن نظام التعليم السوفييتى قائم على أساس مساواة مثالية زائفة بين الرجل والمرأة تنطوى فى حقيقتها على احتقار للأنوثة - وأن هذا النظام لم يؤد إلى تحرير المرأة وإنما أدى إلى تأنيث الرجال - بعد أن فقدوا حريتهم وقرتهم على تحمل المسئولية ».

وقالت تانيا فى مقالها : إن المرأة سواء فى الأسرة التى تحللت بسبب إدمان الرجال للخمور وأيضا فى المصانع تشكل قوة العمل الرئيسية - وأن العمل فى البيت والمصنع يثقل كاهلها ويدمر معنوياتها

– وذكرت « أن الرجل والمرأة على السواء قد تحولا فى المجتمع السوفييتى إلى جنس ثالث هو جنس سوفييتى محض لا مثيل له فى أى مجتمع آخر .

وبالطبع قامت المخابرات السوفييتية بتهديد وابتزاز كاتبات هذه النشرة – كما قامت باعتقال بعض مؤسسات الحركة النسائية المنشقة الجديدة مثل ناتانيا مابونافا – وهى شاعرة وفنانة – ثم نفيها مؤخرا خارج الاتحاد السوفييتى – وذهبت للعيش فى باريس ، ومثل الكاتبة بليا فوز بيسكيابا التى تمضى حاليا حكما بالسجن مدة خمس سنوات فى إحدى معسكرات الاعتقال الروسية .

ومع ذلك : فقد استمرت الحركة النسائية منذ عام ١٩٧٩ وواصلت عملها حيث تقوم النساء حاليا بإعداد النشرات والمقالات ضد الغزو السوفيتى لأفغانستان وأخيرا ضد التهديد السوفيتى لبولندا » .

وقد أطلق هؤلاء النساء « نادى مريم » على جماعتهن واختاروا كلمة نادى – بالذات حتى يتجنبن مطاردة الشرطة الروسية إذا هن أطلقن على أنفسهن اسم جماعة أو جمعية أو اتحاد – كما نسبن أنفسهن إلى مريم العذراء – كمثل أعلى لهن – وهو مثل أعلى دينى ويعتبر ظهوره فى دولة مثل الاتحاد السوفيتى – تطارد الأديان أكثر من ستين عاما منذ قيام الثورة الشيوعية أمرا خطير الدلالة .

المرأة الغربية تشكو من الوظيفة

لقد خرجت المرأة إلى العمل لتؤكد شخصيتها وتثبت ذاتها أو هكذا يقال دائما عند الكلام على وظيفة المرأة وخروجها إلى العمل – وقد سبقنا الغرب إلى إخراج المرأة إلى العمل – كما سبقنا إلى جنى الثمار المختلفة التى ترتبت على ذلك من إهمال للبيت والأطفال وتغيير الوظائف المختلفة لكل من الرجل والمرأة – لقد تحملت المرأة أعباء جديدة ولم ينقص عنها شيء من أعمالها الأساسية .

وبدأت المرأة الغربية تشكو من الوظيفة التى طالما تمنتها وظنت أنها الأمل المنشود .

إعلان النفير العام :

الأستاذ الدكتور كيلين رئيس أطباء المستشفى الحكومى للنساء فى مدينة لادون كسبفر أعلن النفير العام للأطباء لإنقاذ النساء العاملات فى مؤتمر للأطباء هناك – وقد نشرته مجلة ده كستل بل كلان ونغ – الصادرة فى مدينة وسلدرن فى عددها الصادر فى شهر أغسطس سنة ١٩٦٢ – وترجمه السيد : ر – سعيد – أحد الطلاب السوريين فى جامعات ألمانيا ونقله الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه (المرأة بين الفقه والقانون) وقد جاء فى هذا المقال ما يأتى : « إن ٣٠٪ من النساء فى مجتمعنا لسن سعيدات فى حياتهن – والسبب فى ذلك المتطلبات الجسمية والروحية المتصاعدة – وعلى هذا فإنى أعلن النفير العام لعلم الطب – إن الواجب على المجلس

البلدى أن ينظر إلى هذه الناحية التى تحل بكثير من نسائنا العاملات بعين الجد والاعتبار .. إن هذا الخطر يهدد كثيرين منا - لأن هذا معناه انهيار عظيم وخسارة مزدوجة لملايين من البشر » .

المساعدة غير ممكنة - لماذا ؟

« أرجو أن تساعدنى يا دكتور - إننى لم أعد أتحمل هذا الألم المستمر - أرجوك مساعدتى إنى أنازع »

هذا ما يردد يوميا فى عيادة أطباء النساء - ولكن هؤلاء الرجال المرتدين للكساء الأبيض يقفون مكتوفى الأيدى أمام متطلبات النساء الكثيرات اللائى يملأن العيادة نحو الممشى - لأن أى طبيب لا يمكنه مساعدة هؤلاء المساكين الذين يعانون عبئا مزدوجا - لا بل مقلقا - الوظيفة - المال - البيت - متطلبات الحياة العائلية - هذا العبء الأبدى غير الاعتيادى والضغط العصبى الناتج عن التحمل الجسمى والروحى .

يقول طبيب : « إن عيادتى هى البرهان الوحيد - وهى الشاهد ضد الزمن - إن حالة النساء فى خطر عام - خذ مثلا المرأة التى أتت البارحة إحدى العاملات النشيطات فى معامل النسيج والخياطة الضخمة - إنها لم تكن مريضة إلى الآن والآن تأتى تحت عامل انهيار عصبى تام - ففجأة مثلا - بينما هى تخيط تدخل إبرة الماكينة فى إصبعها وفى حالة أخرى تنهار على الماكينة والإبرة فى إصبعها وفى حالة ثالثة تنهار على الماكينة - لكنها فى حالة إغماء » .

المسئولون عن العمل يدعون هذه الحالة : حالة إصابة فى العمل – ولكن الحقيقة غير ذلك – إن هذه المرأة لا تدرى ماذا تفعل ؟

إن هذه الحالة لا تدعو إلى الاستغراب – لأن هذه المرأة منذ سنوات عديدة تستيقظ يوميا منذ الساعة الخامسة لتهىء أعمال المنزل وتعد أطفالها إلى المدرسة – ومن ثم تذهب إلى العمل لتجلس أمام ماكينتها ثمانى ساعات ونصف ساعة – إلى جانب ساعة ونصف تحتاج إليها للذهاب والإياب إلى المصنع – وإذا وصلت إلى البيت وصلت متهالكة – وهنا يبدأ العبء الثالث لها – ألا وهو العمل المنزلى الذى لم ولن تنج معه بتاتا .

السبب هو الأعصاب :

ويستمر الدكتور كلن قائلا : إن فى الجمهورية الاتحادية الألمانية اليوم – حوالى سبعة ملايين من النساء العاملات – وهذا أكثر من ثلث المجموع من عدد العمال – إن أكثر من ثلث النساء متزوجات ومعظمهن عندهن طفل أو أكثر من الذين لا يزالون فى سن الطفولة تحت سن السابعة – وهؤلاء الأطفال بحاجة ماسة إلى عناية الأم – إن هذا العبء المثلث على تلك النساء هو السبب الوحيد الذى يؤدى إلى تدهور حالتهن الصحية التى بدورها تؤدى إلى تدهور الطفولة ومن ثم المجتمع العام .

ومن المعروف أن البناء الجسمى والروحى لدى النساء يختلف اختلافا كبيرا عن تركيب بنية الرجال القاسية المتينة . إنه ليس داعيا

إلى العجب : أن تعطينا الإحصاءات الطبية الصحيحة فى المجتمع الألمانى فى أن كل امرأة تأتى تعانى مرضا فى القلب وفى جهاز الدورة الدموى .

إن التقارير الطبية ترد هذا إلى التعب غير الطبيعى – إن نسبة وجع الرأس الدائم عند العاملات هو أكبر سبع مرات من تلك اللاتى فى البيت بدون عمل – والمرض الجنسى من موت الجنين أو الولادة قبل الأوان هو عند العاملات بشكل مرعب لا يمكن تصوره – إن العامل الرئيسى ليس هو كما يتخيل – إنه الوقوف الدائم أو الجلوس المنحنى أمام منضدة العمل أو الحمل الثقيل غير الاعتيادى – لا بل هناك العامل النفسى الذى هو الأساس – ومن المعروف اليوم أن التشويه الجسمى عند النساء مثل تضخم الرجلين أو تضخم البطن يعود إلى الحالات النفسية التى تقاد من الدماغ ومركزها فى النخاع الشوكى الذى قد يؤدى إلى الشلل أو العاهة الجسمية .

لماذا تعمل النساء ؟

ويستمر الدكتور « كلن » فى الحديث فيقول : والآن يفتح الستار أمام السؤال لماذا تعمل النساء ؟ إذا كان المصير هو المصير الفاجع ؟ أليست الصحة فوق كل شىء ؟ والجواب على ذلك : « أن السبب ليس فقط الرفاهية فى الحياة – سيارة براد – تلفاز ، بل إن الإحصاءات أظهرت : أن الطمع المادى والطمع فى زيادة المال هو الذى يؤدى إلى الحياة المرة – فكثير من نسائنا لسن بحاجة إلى العمل لأنهن يملكن جميع رفاهيات الحياة – ومع هذا يسرن يوميا كالدواب إلى العمل ».

ومع كل هذا – فالتحمل الجسمى والنفسى ليس هو الوحيد الذى يجعل امرأتنا – غير شهية – لأنهن كنساء يشعرن بعدم الرضاء الجنسى – بل هو ذلك الشعور الذى يخامرهن – ألا وهو التقدم فى السن الذى يعزلهن عن الإناث الشابات اللائى يزاحمنهن فى حياتهن الاجتماعية واللاتى يرمينهن فى زاوية المهملات – إنه أكبر سبب للطلاق وتدهور الحياة الزوجية من أى سبب آخر .

وعلى هذا فإن ملايين النساء يرين أنفسهن مقبوضا عليهن فى حلقة الشيطان وبطاقتهن الخاصة لا يمكن التخلص منها إن مساعدتهن واجب على كل من يستطيع وإن رفع الرواتب هو سياسة غير ناجحة فى هذه الحالة – إنه صحة وسعادة الملايين من البشر .

المرأة والمهدئات :

وقد أظهرت إحدى الدراسات الأمريكية : أن دخول المرأة إلى ميدان العمل كان له تأثير كبير على توازنها النفسى – فالملاحظ أن نسبة كبيرة من العاملات يعانين من التوتر والقلق الناتج عن المسئوليات الكبيرة الملقاة على عاتقهن والموزعة بين المنزل والزوج والأولاد والعمل – فقد سجلت الإحصاءات الأخيرة أن ٧٦٪ من نسبة الأدوية المهدئة تصرف للنساء العاملات – كما كان من نتيجة هذا التوتر ارتفاع نسبة تدخين السجاير بين النساء العاملات التى فاقت فى الولايات المتحدة نسبة الرجال .

الأهرام القاهرية عدد ١٥/١١/١٩٨١

المرأة العاملة تدفع ثمن الوظيفة :

نشرت صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر فى ١٩٨٢/٤/٣ أحدث دراسة للجهاز المركزى للتنظيم والإدارة تحت عنوان : المرأة العاملة تدفع ثمن الوظيفة قالت فيه : « يقول الدكتور حسن توفيق رئيس الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة : إن هناك انتقادات وملاحظات على كفاءة وتشغيل المرأة — فقد دخلت الأعمال المتوفرة فى سوق العمل بغض النظر عن مدى ملاءمتها واستعدادها وقدرتها على العمل — وقد أثر هذا على الكفاءة المنتظرة منها — فخروج المرأة للعمل بهذا الشكل لم يصاحبه الاهتمام بتوفير مجموعة من الخدمات الأساسية اللازمة لرعايتها ومساعدتها على التوفيق بين عملها ومسئولياتها الأساسية .

هناك ملاحظات على تشغيل المرأة وهناك سلبيات — ومن واقع خبرة التطبيق فى العمل الحكومى والقطاع العام يقدم الدكتور حسن توفيق أهم الملاحظات والسلبيات التى تؤثر فى كفاءة تشغيل المرأة وتجعلها تدفع ثمن الوظيفة .

أولى هذه الملاحظات أن دخول المرأة إلى بعض الأعمال التى لا تتلاءم مع طبيعتها واستعدادها وقدرتها جعل كفاءتها الإنتاجية فى أداء العمل محدودة » .

ويرى الخبراء أن طبيعة ومسئوليات المرأة كزوج وأم — أثرت على كفاءتها وانتظامها فى العمل وعلى درجة تفرغها ذهنيا ومعنويا

لمتابعة عملها – حتى أن وحدات العمل تشكو من تغيب المرأة وكثرة الأجازات الممنوحة لها – كما أن هناك صعوبة تواجه المرأة التى تصل إلى المناصب القيادية – فالرجل لا يتقبل رئاسة المرأة للعمل فضلا عن عدم نجاح المرأة بالدرجة المرجوة فى المنصب الرئاسى .

وفى أحدث دراسة قام بها الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة عن حجم العمالة بالنسبة للمرأة فى القطاع الحكومى والقطاع العام – اتضح أن إجمالى عدد العاملين بالقطاع الحكومى حتى أول يناير سنة ١٩٨٠ بلغ مليونين و ١٣٤ ألفا – منهم أكثر من ٢٦٠ ألف عاملة بنسبة ١٧٪ تقريبا من عدد العاملين أما فى القطاع العام فقد ثبت أن إجمالى عدد العاملين بلغ مليونا و١٩٩ ألف عامل – منهم ٦١٥ ألف و ٥٢٦ عاملة بنسبة ٦٠,٦٪

وأوضحت الدراسة أن إجمالى عدد العاملين من النساء بالقطاع الحكومى قد زاد فى أول يناير سنة ١٩٨٠ بمقدار ٧٦,٥٤٪ – عما كان عليه الحال منذ عشرين عاما – أى أن نسبة زيادة المرأة العاملة فى القطاع العام والحكومى بلغت ٨٠٪ تقريبا .

كما أوضحت الدراسة أن نسبة إجمالى المرأة العاملة التى تشغل الوظائف العليا فى أول يناير سنة ١٩٧٨ قد ارتفعت بما يزيد عشرين مرة عما كان عليه الحال فى شهر يناير سنة ١٩٦٨ – ويوجد سيدتان تشغلان منصب وكيل أول وزارة و ١١ يشغلن وكيل وزارة – بينما يوجد ٦٨ موظفة بدرجة مدير عام وذلك فى أول يناير ١٩٨٠ .

حل المعادلة الصعبة للمرأة العاملة :

يرى رئيس الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة أنه يجب توفير مجموعة من الخدمات الأساسية لرعاية المرأة العاملة وتمكينها من التوفيق بين مسئولياتها تجاه العمل ومسئولياتها تجاه الأسرة وينمى من ولائها لجهة عملها ويرفع من روحها المعنوية - وبالتالى يؤدى إلى زيادة كفاءتها الإنتاجية كالتوسع فى توفير دور الحضانة بوحدات العمل وتوفير المواصلات لنقل العاملات وتوفير الخدمات التى تتيح للمرأة العاملة القيام بواجباتها الأسرية فى وقت وجهد أقل .

الطبيعة النفسية للمرأة :

وعن الطبيعة السيكلوجية للمرأة - يقول الدكتور محمود فؤاد - أستاذ إدارة الأعمال والعلوم السلوكية بجامعة القاهرة ومستشار رئيس الجهاز : « إن المرأة تتميز بأنها أكثر حساسية من الرجل - لذلك لا يمكن للمديرين انتقادها دون مراعاة مشاعرها - فهى أكثر قابلية من الرجل لأن تأخذ النقد الموضوعى للعمل على أنه موجه لشخصها - وهى أكثر عاطفية - ومع مسئولياتها المزدوجة فى المنزل والعمل - فإنها تكون أكثر قلقا وتوترا .

ومن هنا فإن المرأة تدفع ثمنا باهظا - لكى تلائم بين عملها وأعبائها المنزلية كزوجة وربة بيت » .

نادى الصداع :

نشرت صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٩٨٢/٤/٣٠ – كلمة عن نادى الصداع وقالت : « قد تكون المرأة أكثر حساسية من الرجل – وغالبا فإن ضغوط المرأة تختلف عن ضغوط الرجل – ولكن المهم فى متاعب الصداع ، إنه لعبة المرأة » هكذا يقول الدكتور أندريه براواليبه – أستاذ الأمراض الباطنية بكلية الطب بجامعة باريس وهو متخصص فى أمراض الحساسية ورئيس نادى الصداع بباريس الذى يضم النسبة الكبرى من أعضائه من النساء – ويعتبر الصداع من أمراض الحساسية .

وإذا كان للصداع خمسة أنواع – فإن المرأة تتفوق على الرجل فى الإصابة بأكثر من أربعة أنواع منه – ولعل صداع الميجرين هو أكثر أنواع الصداع انتشارا – يليه الصداع العصبى والنفسى .

والمرأة تملك العديد من الأسباب لجعل الصداع رفيقا لها – وما من امرأة إلا وحملت فى حقيبة يدها المسكنات والعطر والمناديل كأسلحة للصداع والدموع والجاذبية .

وللصداع مواعيد – فهناك صداع الفجر والصباح والظهيرة وصداع المساء والليل وصداع ما بعد منتصف الليل وصداع الفجر وسببه ضغط الدم العالى وصداع الصباح المبكر هو الميجرين وصداع الظهيرة هو الصداع بسبب الجيوب الأنفية وصداع مابعد الظهيرة هو الصداع النفسى

ومن أسباب الصداع الضوضاء والتلوث والضغوط النفسية

والعصبية والعمل الممل والزحام والظلم والاضطهاد وصداع الميجرين من بعض أسبابه القرف والملل والاحباط النفسى هو أسوأ أنواع الصداع وأكثرها إيلاما وينصح الدكتور برادلين مرضى الميجرين عندما تصيبهم النوبة : أن يلجأوا إلى حجرة مظلمة فيها الهدوء والسكينة دون أن يتعرضوا لأية مضايقات .

مرض الطفل المضروب :

المرأة العاملة مرهقة فى العمل ولذلك فإنها لا تستطيع أن تتحمل أبناءها –فتلجأ إلى ضربهم ضربا قد يكون مبرحا – ويتكرر الضرب مع الأطفال – وينشأ عن ذلك مرض اسمه « مرض الطفل المضروب » وقد نشر الدكتور محمد على الباز كلمة عن وضع المرأة الأوربية اليوم – فى مجلة الأمان اللبنانية فى العدد الصادر بتاريخ ٢١ من كانون الأول سنة ١٩٧٩ جاء فيه : « مجلة هيكساجن الطبية نشرت فى عددها الخامس لسنة ١٩٧٨ أنه لا يكاد يوجد مستشفى للأطفال فى أوربا وأمريكا إلا وبه عدة حالات من هؤلاء الأطفال المضروبين ضربا مبرحا من أمهاتهم ».

وفى عام ١٩٦٧ دخل المستشفيات البريطانية أكثر من ٦٥٠٠ طفل مضروب ضربا مبرحا أدى إلى وفاة ما يقرب من ٢٠٪ منهم – وأصيب الباقون بعاهات جسدية وعقلية مزمنة – وقد أصيب مئات منهم بالعمى – كما أصيب مئات أخرون بالصمم – وفى كل عام يصاب المئات من هؤلاء الأطفال بالعته والتخلف العقلى الشديد والشلل نتيجة للضرب المبرح .

ويتساءل الدكتور إيلى رئيس أقسام الأطفال فى مستشفيات بريستول المتحدة فى مدينة بريستول ببريطانيا هل هؤلاء الأمهات وحوش ؟ وينتهى فى مقاله إلى أن هؤلاء الأمهات يواجهن أزمات نفسية خطيرة أدت بهن إلى ضرب أطفالهن ضربا مميتا أو مؤديا إلى عاهات مستديمة – ثم يقول : « إن أغلب هؤلاء الأمهات لسن مجرمات بطبيعتهن – ولكن وجود الأم بدون زوج واضطرارها إلى العمل والخروج ثم عودتها مرهقة إلى المنزل لتواجه الطفل الذى لا يكف عن الصراخ يفقدها اتزانها وعواطفها .

وقد لوحظ أن هؤلاء الأمهات يكرهن أولادهن كرها شديدا حيث ينغص هؤلاء الأطفال على أمهاتهن حياتهن – وقد نشرت الصحف فى العام الماضى قصة الشاب والشابة اللذين قاما ببيع أطفالهما فى أمريكا بمائة دولار – كما أن كثيرا من الأمهات يقمن بسم أطفالهن بإعطائهن السموم والعقاقير الخطيرة » .

أطفال للبيع :

ونتج عن خروج المرأة للعمل واضطراب أعصابها من الإرهاق ومحاولة العيش فى مستوى خاص نشأ عن ذلك كله انحراف فى الفطرة أدى إلى أن تستغنى الأسر عن أبنائها أو عن بعضهم عن طريق البيع لأفراد أو لمؤسسات تكونت لهذا الغرض .

وقد نشرت مجلة العهد القطرية الصادرة فى أول ديسمبر سنة ١٩٨١ دراسة حول هذا الموضوع جاء فيه : « فى أمريكا

الجنوبية عشرات من مكاتب التبنى مفتوحة لاستقبال الأطفال اليتامى أو المرفوضين من آبائهم وأمهاتهم – ثم تذكر أمثلة مما تقوم به هذه المكاتب .

- إحدى ممرضات مستشفى للولادة فى كولومبيا تقول : إن الأطفال الذين يولدون أصحاء يسأل أهليهم بوساطة شبكات تهريب الأطفال إذا كانوا يودون بيع أطفالهم فيرتاحون من تنشئتهم وتربيتهم .
- فى البرازيل تألفت لجنة من الكونجرس البرازيلى لدراسة هذه المشكلة – فوجدت اللجنة أن ثلاثة ملايين طفل برازيلى يعيشون فى الملاجىء ودور الأيتام – دون وجود آباء وأمهات يلجئون إليهم – وهؤلاء عرضة للانتقال إلى أوربا أو أمريكا للعيش مع آباء وأمهات جدد – ووجدت اللجنة أن كثيرا من الأمهات الفقيرات يعطين أبنائهن لدور التبنى طوعا – وغالباً ما ينتهى هؤلاء الصغار إلى مجتمعات أوربية أو كندية أو أمريكية .

- أحد قضاة أمريكا اللاتينية علق على هذه المشكلة قائلا : هل من المعقول أن ينتهى مئات ومئات من الأطفال إلى عائلات ويعيشون سعداء أم أنهم يباعون للمختبرات العلمية والطبية وتجرى عليهم التجارب ؟ القضية لا تزال غامضة .
- التاجرة بلمر تعيش فى البرازيل وتحمل جنسيتين برازيلية وأمريكية وتحتضن مئات من الأطفال الفقراء الذين سلمتهم أمهاتهم طوعا

حسب قولها – تقوم بلمر بتلقى طلبات التبنى وتعمل الأوراق الرسمية اللازمة للطفل للسفر مع عائلته الجديدة – فتتقاضى بلمر ستة آلاف دولار ويضاف إلى هذا المبلغ أتعابها فى التربية والرضاعة لمدة ستة أشهر – والسلطات البرازيلية اتهمت هذه السيدة بأنها تتاجر بالعرق الإنسانى – وقامت بمنع عدد من الأطفال البرازيليين مباعين لآباء أمريكيين من مغادرة البلاد – لأن بلمر فى نظر السلطات البرازيلية مثيرة وتجنى أرباحا طائلة من تجارتها باللحم الآدمى .

وهكذا أصبح الإنسان سلعة تباع وتشترى تحت شعار آخر .

واختاروا السيارة :

خرجت المرأة إلى ميدان العمل لترفع مستوى الأسرة الاقتصادى – ولكن المستوى الذى يريدون رفعه لا يقف عند حد .. والناس يريدون أن يعيشوا عيشة الرفاهية الكاملة ويتفاخرون فى هذه النواحى وأصبحوا فى سباق دائم .

ولقد كان العرب فى الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفقر وقد نهاهم القرآن عن هذه الفعلة الشنيعة وبين لهم أن الذى خلقهم تكفل برزقهم **﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾** الإسراء ٣١ .

ولكنهم فى العصر الحديث يقتلون أولادهم بأسلوب العصر – لا خشية الفقر ولكن لأنهم يريدون أن تعيش الأسرة فى مستوى

معين وضعته لنفسها – فقد أصبحت المرأة الغربية تبيح لنفسها أن تجهض الجنين قبل تكامل نموه – وبذلك تؤثر التخفف من الكلفة على القيمة الإنسانية وهى رعاية الولد الذى يولد حتى ينشغل بأمر نفسه فى الحياة وهذه هى الوظيفة الأولى للأسرة الإنسانية .

وقد تلجأ الأسرة الغربية إلى ترك ابنها للتبنى من غيرها بعد ولادته – وهو لون جديد من قتل الجاهلية يتفق وأسلوب العصر الحديث .

وتنقل صحيفة أسبوعية كبرى فى لندن قصة رجل وزوجه – كان عليهما أن يختارا بين طفلهما المولود حديثا فى المستشفى وبين سيارة كلفتهما ثلاثة آلاف وأربعمائة من الجنيهات الاسترلينية – إذ إنهما لا يمكنهما الاحتفاظ بالاثنين معا واختاروا السيارة .

والزوج يبلغ من العمر ٢٧ عاما ويحكى سبب ذلك فيقول : نحن لدينا صعوبات مالية – وقد تحدثنا عن حلول كثيرة واستقر بنا الأمر على أن نترك البنت فى المستشفى بعد ولادتها للتبنى لأنه إذا لم نسلمها للتبنى فإنه يتعين علينا أن نبيع السيارة وأسرتنا الآن تتكون منى ومن زوجتى ومن أولاد ثلاثة – يبلغون على التوالى الخامسة والرابعة والثانية – ثم يستطرد فى تبرير تصرفه فيقول : « بعض الناس يهملون أولادهم – ولا نريد ذلك لأولادنا – كما أننا لا نستطيع أن نعطى الطفل الجديد كل ما يجب أن يكون لدينا زيادة عن الثلاثة الذين يعيشون معنا .. هذه الطفلة المولودة حديثا يمكن أن تجد عند غيرنا ما هو أفضل مما عندنا » .

والزوجة تقول فى تبرير تصرفها بالاشتراك مع زوجها : إننى أعتقد أن ما فعلته كان هو الصواب – وأنا قدمت الآن من المستشفى إلى المنزل وتركت طفلتى هناك – وبالصدفة ألقيت عليها نظرة وهى بنت صغيرة ومحبوبة ولكننى لا أرغب أن أراها ثانية – وما أفكر فيه هو أن تكون سعيدة فى أسْرة أخرى – والزوج يقول : « أنا أعلم أن بعض الناس يتصورون أنى أفكر فى نفسى فقط – ولكن بعد ما قصصت قصتى على مجموعة من العاملين معى أبدوا تفهما للوضع » .

وهكذا اختار الوالدان السيارة وتركا البنت لمن يريد أن يتبناها – لأن الأسرة لا تريد أن تعيش فى مستوى أقل مما وضعته لنفسها – حتى ولو كان هذا المستوى هو السيارة التى تعد من الكماليات – على الأقل إذا ما قيست بالأبناء الذين هم أعز شيء فى هذه الحياة – بالنسبة للإنسان فى جميع العصور – اللهم إلا عند المنحرفين عن الفطرة وفى التفكير وفى العاطفة .

لماذا يحبون الكلاب ؟ :

ولقد كان من أثر تفكك الأسرة فى الغرب أن بحث الناس عن المودة والرحمة بين الأسر فلم يجدوها – فاستعاضوا عنها بغير بنى الإنسان كى يعوضوا هذه الناحية – وهيهات أن يكون ذلك سليما فقد جاء تقرير فرنسى : « أن هناك سبعة ملايين من الكلاب فى فرنسا التى يبلغ سكانها ٥٢ مليون نسمة تعيش مع أصحابها كأنها

من أقاربهم – ولم يعد غريبا فى مطاعم باريس أن يشاهد الكلب وصاحبه يتناولان الطعام على مائدة واحدة .. وحين سئل أحد الأطباء فى جمعية رعاية الحيوان بباريس : لماذا يعامل الفرنسيون كلابهم مثلما يعاملون به أنفسهم ؟ . أجاب : لأنهم لا يعثرون على من يحبون »

المرأة والاقتصاد :

ويأتى سؤال : ما تأثير عمل المرأة على النواحى الاقتصادية للدولة ؟ ويجيب على هذا السؤال الأستاذ « جيوم فيريرو » فى المجلد الأول من مجلة المجلات قائلا : « أن اشتغال المرأة يؤثر على الحياة الاقتصادية تأثيرا سيئا – باعتبار أن اشتغالها فيه مزاحمة للرجل فى ميدان نشاطه الطبيعى مما يؤدى إلى نشر البطالة فى صفوف الرجال – كما وقع فى بلادنا – فمنذ أخذت المرأة طريقها إلى وظائف الدولة – أصبح عدد كبير من حملة الشهادات الثانوية والعليا عاطلين عن العمل يملأون المقاهى ويقرعون أبواب الحكومة طلبا للوظائف – بينما تحتل أماكنهم فتيات لايحملن غالبا مثل مؤهلاتهم وكفاءاتهم .

وما يقوله الأستاذ جيوم ينطبق على كل الدول التى أخذت بمبدأ ضرورة العمل للمرأة – فأصبحت تعانى من البطالة فى صفوف الرجال والمشاكل المتنوعة التى تترتب على هذه الناحية .

والموضوع يحتاج إلى دراسة متأنية واعية وتوصيات مبنية

على أساس هذه الدراسات تقدم إلى المرأة والرجل على السواء وتقدم إلى الحكومات وأهل الفكر -- علهم يبدأون فى إعادة النظر فى توظيف المرأة الذى أصبح فى كثير من الدول من المسلمات وأصبحت المرأة نفسها تطالب به على أنه حق من حقوقها – مع أنها أول من يدفع الثمن – ثمن الخروج عن وظيفتها الطبيعية فى هذه الحياة .

ولعل هذا هو الذى جعل الكسيس كاريل يقول فى كتابه الإنسان ذلك المجهول : « إنه حتى هذه الأيام لم يتضح فكر الإنسان ولم يشعر على الوجه التام بما لوظيفة الولادة من الأهمية فى حياة المرأة – إن قيام المرأة بهذه الوظيفة مما لا مندوحة عنه لكمالها القياسى – وما انحراف النساء عن الولادة ورعاية الطفل إلا حماقة لا يقدم عليها عاقل » .

وعلى نهجه سار الدكتور فيكتور بوجو مرلز فى كتابه من الجلد إلى الذهن وترجم بعنوان عش طول حياتك شابا

« إن إنجاب الأطفال شىء مهم جدا فى حياة المرأة من كل ناحية – ولم يقرر أحد من المختصين أن تعب البنية من كثرة الأولاد قاصر عليها – إن من المؤكد أن عملية الحمل والولادة عامل حيوى جدا فى نشاط بنية المرأة – ولست أميل إلى القول بأن المرأة تتعرض لتقصير حياتها بإفراطها فى إنجاب الذرية – فكلنا يعرف نساء أنجبن كثيرا من الأولاد وعمرن » .

متاعب حواء العربية :

تحقيق صحفى قامت به السيدة سعاد حلمى المحررة بمجلة حواء التى تصدر بالقاهرة وقد نشر فى عدد ١٩٧٠/١٢/١٢ تحت عنوان : « الإرهاق العصبى يهدد المرأة »

وقد جاء فيه : نحن نساء هذا العصر كثيرا ما نلمح فى عيون نساء الجيل الماضى من الأمهات والجدات نظرات الدهشة والاستنكار وهن يتابعن تصرفاتنا خلال الحياة اليومية العادية وكثيرا ما نسمعهن يرددن : « لماذا هذا الإرهاق ولماذا هذه العصبية ؟»

وأصبح من العادة أن نسمع : « أنا لا أحتمل الضجيج ولا الأولاد ولا التعليقات – إننى أشعر دائما بالرغبة فى البكاء وأحيانا بالصراخ – وأحيانا كثيرة أعانى من الصداع الذى لا تجدى المسكنات معه نفعا – وفى نفس الوقت أشعر باضطراب فى خفقات قلبى – لم أعد أرغب فى شيء – أتمنى الهدوء والصمت والوحدة »

الاكتئاب النفسى :

وفى مجلة حواء أيضا بعددها الصادر فى ١٩٧٢/٤/٢٣ مقال كتبته الصحفية سهير الكيال تحت عنوان « الاكتئاب النفسى » جاء فيه : « هذه هى الحقيقة التى وصل إليها آخر إحصاء قام به معهد الصحة النفسية – وأعراض هذا الاكتئاب النفسى : الأرق والاضطراب والانفعال المستمر – وأدى ذلك إلى أن أصبحت الحبوب المنومة والمهدئة جنبا إلى جنب مع أدوات الزينة فى حقائب

هؤلاء السيدات – وتشكو كل منهم باستمرار من الإرهاق البدنى والذهنى – وقد أثر هذا فى حياتهن بشكل ملحوظ – وتقول الكثيرات : « إن حياتهن الزوجية أصبحت لا تطاق – والكلمة التى تواجه بها الزوجة زوجها بعد العودة من العمل هى دائما لا تتغير : « اتركنى فأنا مرهقة » وحتى فى علاقتها مع أولادها فإن الانفعال والقسوة وارتفاع الصوت هى الصفات السائدة .

من القلب :

والصحفية المحررة مرفت عثمان قالت فى صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر فى ١٩٧٨/٩/٢٢ « أصبحت نسبة عدد النساء المهددات بالإصابة بأمراض القلب تزداد يوما بعد يوم – هذا ما يصرح به أخصائيو أمراض القلب فى العالم – فبعد أن كانت من الأمراض التى يتعرض لها الرجال بنسبة أكبر – أصبح اليوم يتعرض لها الجنسان بنفس النسبة – فما الأسباب التى أدت إلى ذلك ؟ .

أمراض شرايين القلب : كانت الإصابة بهذا المرض من النساء ضئيلة جدا – وتحدث بعد سن اليأس – ولكن لوحظ فى السنوات الأخيرة ازدياد نسبة الإصابة للمرأة العاملة بهذه الحالات وذلك لتعرضهن لنفس الانفعالات والظروف التى يتعرض لها الرجال .

ويؤيد هذا كله الفيلسوف الغربى جول سيمون الذى يقول : « يجب أن تبقى المرأة امرأة فإنها بهذه الصفة تستطيع أن تجد سعادتها وأن تهبها لسواها – فلنصلح حال النساء – ولكن لا نغيرها

ونخدرهن من قلبهن رجالا – لأنهن بذلك – يفقدن خيرا كثيرا ونفقد نحن كل شيء – فإن الطبيعة قد أتقنت كل ما صنعته – فلندرسها ولنسع – فى تحسينها ولنحسن كل ما يبعد عن قوانينها وأمثلتها ».

ازدياد معدل الجريمة :

حين خرجت المرأة إلى العمل مع الرجل فى ميدانه – فإن المشكلات التى كانت خاصة بالرجل لم تلبث المرأة أن دخلت فيها وسارت فى تيارها حتى تسبق الرجل وهى التى كانت فى أمن واطمئنان وراحة بال – ويوضح التقرير الذى خرج عام ۱۹۷۷ من مكتب التحقيقات الفيدرالية بالولايات المتحدة الأمريكية – والذى يشير إلى أن معدل الجريمة بين السيدات أو الجريمة النسائية ارتفع ارتفاعا مذهلا مع نمو حركات التحرر النسائية وقال التقرير : « إن الاعتقالات بين النساء زادت بنسبة ٥٢٪ – وهذا علاوة على أن أخطر عشرة مجرمين مطلوب القبض عليهم فى القائمة الأخيرة التى نشرها مكتب التحقيقات الفيدرالى كلهم من السيدات – ومن بينهن شخصيات ثورية اشتركت فى حركة التحرير النسائية مثل « جين البرت و برناردين دورن » ووراء ربط ارتفاع نسبة الجريمة بين السيدات بحركات التحرر النسائية وجهة نظر تقول : إن منح المرأة حقوقا متساوية مع الرجل يشجعها على ارتكاب نفس الجرائم التى يرتكبها الرجل – بل إن المرأة التى تتحرر تصبح أكثر ميلا لارتكاب الجريمة .

ويؤكد بعض العاملين فى مجال الجريمة : أن ارتفاع نسبة البطالة ن السيدات بعد خروجهن من وظائفهن بسبب التضخم هو السبب الرئيسى وراء ارتكاب المرأة للجريمة .

ويضيف هؤلاء : أنه مع استمرار البطالة وإدمان المخدرات وتدهور الموقف الاقتصادى وانتشار الفقر – فإن معدلات الجريمة ستستمر فى الارتفاع بين السيدات والرجال على السواء فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وتقول الدكتورة ابدابلين: « إن سبب الأزمات العائلية فى أمريكا وسر كثرة الجرائم فى المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق .

ثم قالت : « إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى البيت هو الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الذى يسير فيه » .

انتهاءالوظيفة :

الرجل له وظيفة والمرأة لها وظيفة – وعند انتهاء وظيفة كل من الرجل أو المرأة – تحدث فى الجسم تغيرات هرمونية – ويظهر التحول عند الرجل بعد الإحالة إلى المعاش بقليل – كما أن التحول يحدث للمرأة عندما تتوقف عن القيام بدور الإنجاب – وهذا يستدعى إعادة التكيف الاجتماعى والانفعالى لدى كل من الرجل والمرأة لإمكان قيامهما بأدوار جديدة والعمل من أجل أهداف جديدة وإشباع حاجات جديدة ومعنى هذا أن الطبيعة قد

تحدث وظيفة كل من الرجل والمرأة – لأن كلا منهما نوع وإن كانا من جنس واحد .

فوظيفة الرجل : العمل لكسب العيش والإنتاج المادى – ثم قيادة الأسرة والمجتمع ووضع نظمه وإدارة شئون السياسة الاجتماعية والاقتصادية .

لذلك فقد زود الرجل بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال والاستجابة واستخدام الفكر قبل الحركة والاستجابة – لأن وظائفه كلها تحتاج إلى قدر من التروى قبل الإقدام وإعمال الفكر والبطء فى الاستجابة بوجه عام – وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة وأفضل فى مجالها – كما أنه مكلف بالإنفاق وهو فرع توزيع الاختصاصات وما يجعله بدوره أولى بالقوامة .

ويأتى سؤال : ماذا يحدث حين تتخلى المرأة عن وظيفتها التى خلقها الله تعالى وتسعى للمساواة الكاملة بالرجل فى كل عمل من أعماله وفى كل وظيفة من وظائفه حتى تكسب المال وتحقق ذاتها – كما تقول الأفكار التى تريد أن تجعل المرأة تسير فى هذا الاتجاه ؟ .

إن المرأة التى تعمل فى وسائل النقل العامة أو فى مجالات التعدين أو فى الصناعات الثقيلة أو حتى فى رصف الشوارع وتنظيفها – تفقد كثيرا من أنوثتها وتتحول إلى شبه رجل فى غلظته ومعاملته للآخرين – والمرأة التى تعمل فى المكاتب أو التى تشارك فى عمل لا يدعو إلى الحركة – تزهد على مر الأيام فى علاقتها الزوجية

ويضعف فى نفسها شأن هذه العلاقة بسبب الإرهاق فى العمل فى المنزل وخارجه وعدم إعطائها فرصة التغيير طوال أيام الأسبوع .

طبيبة نمساوية بحثت هذه الناحية بحثا طويلا ونقلت عنها الدكتورة ابنة الشاطىء تجربتها فكتبت تقول : « إن ذلك القلق لا صلة له بمتاعب الانتقال المفروض على أصل الطبيعة من نساء الشرق - وإنما هو صدى لشعور ببدء تطور جديد يتوقع حدوثه علماء الاجتماع والفسيولوجيا والبيولوجيا فى المرأة العاملة -وذلك لما لاحظوا من تغير بطىء فى كيانها - لم يثر انتباه أولا - لولا ما سجلته الإحصاءات من اطراد فى المواليد بين العاملات - وكان المظنون أن هذا النقص اختيارى محض - وذلك لحرص المرأة العاملة على التخفف من أعباء الحياة فى الحمل والولادة والإرضاع تحت ضغط الحاجة والاستقرار فى العمل - ولكن ظهر من استقراء الإحصاءات - أن نقص المواليد للزوجات العاملات لم يكن أكثره عن اختيار - بل عن عقم استعصى علاجه - وبفحص نماذج شتى متنوعة بين حالات العقم - اتضح أنه فى الغالب لا يرجع إلى عيب عضوى ظاهرى - مما دعا العلماء إلى افتراض تغير طارىء على كيان الأنثى العاملة - نتيجة لانصرافها المادى والذهنى والعصبى عن مشاغل الأمومة ودنيا حواء وتشبثها بالمساواة مع الرجل ومشاركته فى ميدان الحياة عمله .

واستند علماء الأحياء فى هذا الفرض نظريا إلى قانون طبيعى معروف - وهو أن الوظيفة تخلق العضو ومعناها فيما نحن فيه « أن وظيفة الأمومة هى التى خلقت فى حواء خصائص مميزة للأنوثة

لابد وأن تضمر تدريجيا بانصراف المرأة عن وظيفة الأمومة واندماجها فيما نسميه « عالم الرجال » .

ثم تابع العلماء هذا الفرض – فإذا بالتجارب تؤيده إلى أبعد مما كان منتظرا – وإذا بهم يعلنون فى اطمئنان مقرون بشىء من التحفظ عن قرب ظهور جنس ثالث تضمر فيه خصائص الأنوثة التى رسختها الممارسة الطويلة لوظيفة حواء .

* * *



الفصل الرابع

المرأة الغربية تستجيب لنداء الفطرة

بين الأمس واليوم :

ما أكثر ما جنت الحضارة الغربية على نفسها وعلينا – لقد جعلناها قدوة لنا فى كل شىء – حتى فى الأشياء التى نجد عنها فى ديننا القول الفصل – لكننا كنا فى فترة ضعف نستقبل فيها عن الغرب القوى ونظن أن كل ما يأتى به هو التقدم والمدنية والحضارة التى سيطرت على العالم كله .

ومن جهة أخرى بدأ الغرب يغزونا بأفكاره ليربينا على الطاعة المطلقة ويغسل مخنا من كل الأفكار والقيم التى كانت عندنا .

وقضية المرأة أخذت شوطا كبيرا تحت أسماء براقة – الحرية – مساواة المرأة بالرجل وما إلى ذلك وتكونت الجمعيات النسائية العربية والإسلامية – وبدأت تنادى بتطبيق هذه الأفكار وهى غافلة عن المتاعب التى ستلحقها وتلحق أسرتها وبالتالى ستلحق المجتمع كله .

وافتعلت المعارك بين الرجل والمرأة – ففلان نصير للمرأة وفلان عدو للمرأة وتنشر الصحف دائما عن المكاسب التى تأخذها المرأة فى كل يوم فى دولة كذا ودولة كذا ..

وكان من نتائج ذلك ما لاحظه المفكرون وعلماء النفس والاطباء من ضياع أجيال من الأطفال وإصابتهم بمختلف الأمراض النفسية والعقلية والجسمية لفقدانهم الرعاية والحنان والعطف والرضاعة الطبيعية وتركهم فى المحاضن أو مع العاملات فى المنازل - كما كان من نتائج ذلك تخلخل داخل كل أسرة من الأسر - لأن المرأة شغلتها وظيفتها عن رعاية أسرتها - وكان ذلك فوق ما تحتمله المرأة - بل وفوق ما تحتمله الجماعات الإنسانية

وكان لابد من الرجوع إلى نداء الفطرة البشرية .

على أن الأمر الذى يدعو إلى الدهشة هو أن العودة إلى الطبيعة قامت بها المرأة - ذلك لأنها أحست بالخسارة عليها - لقد كانت كذبة كبرى تلك المساواة التى قالوا عنها لأن هناك فروقا فى كل ناحية من النواحى بين الرجل والمرأة وهذه الخسارة نالت أول ما نالت المرأة نفسها - و ظهر ذلك فى فقدانها لراحتها الجسمية وراحتها النفسية - كما ظهر فى تخلخل الأسرة وكيانها .

وبدأ كل شىء يظهر عندهم وعندنا .

وبدأت المرأة العربية المسلمة تشكو ولكنها فى طريقها سائرة .

وبدأت المرأة الغربية تشكو ولكنها كانت إيجابية فأعلنت رأيها بصراحة وطالبت بعودة المرأة إلى البيت وبالعناية ببيتها وترك الأفكار القديمة التى كانت وراء خروج المرأة إلى العمل .

ولقيت النساء اللاتى تنبهن إلى هذه الخطورة مقاومة أحياناً من المرأة وأحيانا من الرجل . ولكنهن سرن فى طريقهن رافعات الأصوات – وقد نجحن فى ذلك بعض النجاح .

والمهم : أن هذه الصيحة – صيحة عودة المرأة إلى البيت وعنايتها بزوجها وأطفالها بدأت فى الغرب – وحيئنذ لا يقال عن هؤلاء النسوة : إنهن رجعيات أو متخلفات أو غير متمدينات أو ما إلى ذلك من الألفاظ التى تجعل المرأة تنفر من مثل هذه التهم .

وبدأت بعض الدول تعطى المرأة أجازات طويلة بعد كل ولادة – وبدأت بعض القوانين تظهر لإعطاء هذه الأجازات بمرتب أو نصف مرتب – المهم أن المجتمعات بدأت تحس بالخطورة وتحاول أن تجد العلاج .

المرأة رهن إشارة زوجها :

وقد كان من العجيب أن تظهر فى أمريكا حركة تدعو إلى الخضوع التام لسيطرة الرجل والسبب فى ذلك كما تقول القائمات بالحركة إسعاد المرأة وإعادة الهناءة والطمأنينة والاستقرار إلى كثير من العلاقات الزوجية .

ولهذه الحركة قصة فقد ألفت السيدة مواربيل مورجان – وهى ربة بيت أمريكية كتابا عرضت فيه لكثير من الأسباب التى تدفع الحياة الزوجية إلى الفشل والانهيار – واقترحت المؤلفة مجموعة من الحلول ووسائل علاج للعلاقات الزوجية المنهارة فى أمريكا .

وفوجئت أوساط النشر
رقما خياليا من المبيعات والانتشار فى كافة أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية .

وقالت صحيفة ديلى اكسبريس اللندنية : « إن عالم النشر والتأليف ذهل عندما ضرب ذلك الكتاب الرقم القياسى فى عدد النسخ التى بيعت منه والتى بلغت الملايين – ومن هنا فقد ظهرت الحركة النسائية الأمريكية الجديدة والتى أطلقت على نفسها « حركة كل نساء العالم »

واستطاعت هذه الحركة أن تجذب عددا كبيرا من النساء – ممن بلغن درجة كبيرة من التعلم والثقافة – وانتشر عدد كبير منهن فى كافة الولايات المتحدة – يدافعن عن أفكار الحركة الجديدة وبدأ عدة مئات منهن فى الدعوة والتبشير بأفكار هذه الحركة – عن طريق إلقاء المحاضرات وعقد ندوات فى المدن الأمريكية الرئيسية .

ولشدة إقبال النساء على هذه الحركة – بدأت المسئولات عنها فى تنظيم فصول دراسية منتظمة للراغبات فى تحقيق السعادة الزوجية وتوفير الهناءة والاستقرار للعش السعيد – وأما مدة الدراسة التى خصصت لتدريس هذا العلم الجديد فهو ست ساعات للفصل الدراسى الواحد .

ويقول « بول داكر » مراسل الديلى اكسبريس البريطانية

فى نيويورك : « إنه استطاع أن يتسلل إلى إحدى قاعات الدرس فى أثناء انعقاد أحد هذه الفصول فى أحد الفنادق الصغيرة الواقع فى ضاحية من ضواحى نيويورك – لممارسة نشاطها هناك – فوجد النساء الأمريكيات يجلسن فى سكون تام وهن يستمعن إلى نصائح رائدات حركة كل نساء العالم وأفكارهن الجديدة – بل وأفكارهن الغريبة تماما على المجتمع الأمريكى – والدراسة ليست مجانية – بل إن المرأة تدفع مبلغا يعادل خمسة عشر دولارا أمريكيا – وهو مبلغ ضئيل بالنسبة لما يحققه من نتائج – والتحقت بهذا المركز وحده أكثر من مائتى سيدة أمريكية من مختلف الأعمار والثقافات » .

ويقول المراسل : « ومن تلك القاعة من قاعات الدرس كانت رائحة العطور النسائية تختلط بالآمال العريضة التى علقتها الدارسات لهذا الأسلوب الجديد الذى يتعلمنه لممارسته فى بيت الزوجية – ولم يكن هناك ما يدفع السيدة المحاضرة إلى أن تقول : ليكن زوجك يا سيدتى هو السيد الحقيقى للبيت وعليك أن تعترفى بسيادته هذه وأن تهيئى حياتك له ، وأن تكون له عبدا مطيعا يخدمه ويعمل على راحته » .

وتضيف جويس دافيسون زعيمة حركة كل نساء العالم فى محاضرتها قائلة هناك بعض النساء حطمن حياتهن الزوجية عن طريق إصرارهن على المساواة بالرجل – إن الرجل هو السيد المطاع ويجب على المرأة أن تعيش فى بيت الزوجية وأن تنسى كل أفكارها حول المساواة وعليكن أيتها السيدات أن تتذكرن دائما : « أن الرجل

يسعده دائما أن يرى عبارات الإعجاب والثناء – تماما مثلما يسعد المرأة أن تستمع إلى عبارات الحب والغرام – إن المرأة تأسر قلب الرجل حينما تعبر عن إعجابها به وبأسلوبه فى الحياة – فى عمله – فى هوايته – فى طريقة اختيار ملابسه – إن المرأة التى تنشد السعادة حقيقة – إنما هى تلك التى تعبر عن هذا الإعجاب كل يوم وهى التى تستطيع أن تتكيف مع واقعه وطريقته فى تبادل أمور معيشته وهى التى تقبل برضا وقناعة ذوقه الخاص فى اختيار أصدقائه ، وهى التى تعمل على أن تذيب شخصيتها تماما داخل شخصيته – فتحب ما يحب زوجها وتكره ما يكره وتمارس ما يمارسه هو من أنماط الحياة وأساليبها .

ثم تضع أمام كل النساء ما يشبه جداول عمل تفصيلية – تعتبرها الزوجات ممن يحضرن هذا المؤتمر وصفة طبية لمعالجة التصدع الرهيب الذى أحدثته فى بعض العائلات الأوربية والأمريكية أفكار المساواة واتجاهات التحرر .

وتنصح جويس كل امرأة تعانى من هذا التصدع فى علاقتها الزوجية أن تطلب منه كتابة أهم التغيرات التى يراها ضرورية – والتى يرغب فى أن تقوم بها الزوجة فى بيته – وتطلب جويس من الزوجة أن تأخذ ما يكتبه زوجها وتقوم بدراسته بإمعان دراسة خاصة ودون مناقشة أو جدل – وتبدأ على الفور فى تنفيذ ما يطلبه الرجل وما ينشده من تغير بمنتهى الرضا والقناعة – وعلى المرأة أن تقوم بإجراء هذا التغيير إرضاء للزوج مقنعة إياه أنها تستطيع

أن تغير من روتين حياتها من إسعاد وتوفير الراحة له ولا يجب أن تفارق الابتسامة مطلقا وجه الزوجة – فالبيوت المريضة حقا هى تلك التى غابت عنها ابتسامة الزوجة العذبة التى ينعكس سحرها على قلب الزوج .

وتتساءل مسز دافيستون : لماذا تعترض الزوجة دائما على آراء زوجها ؟ ألا يعبر هذا الاعتراض عن شعور المرأة بأن تسعى إلى المساواة به وبالتالى ألا يتسبب ذلك فى أن يتحول البيت إلى حلبة للمصارعة بين أفكار زوجها وآرائها ؟ إن المشاكل كثيراً ما تتعقد ويصعب حلها حين يصر كل من الطرفين على رأيه وينقطع تماما حبل التفاهم بينهما – فما السبيل إذن فى رأى جويس ؟

إن جويس ترى « أن على الزوجة أن تكون مطيعة دائما لسيدها الزوج وعليها أن تكون دائما مطيعة وأن تقول نعم لكل آرائه – وبذلك تكسب ثقة الرجل وقلبه وتستطيع بالتالى أن تقدم إليه آراءها دون تعصب – وبالتالى فإن الرجل سيشعر بسيادته وتميزه وبقدرته على اتخاذ القرار بنفسه – وقد يكون هذا الرأى مطابقا لرأى الزوجة المطيعة المحبوبة .

وتتحدث جويس عن نفسها قائلة : « إنها كثيرا ما تسببت فى إزعاج زوجها بسعيها المتواصل من أجل المساواة ولكنها اكتشفت بعد ذلك : أن هذا السعى كان هو السبب الرئيسى وراء كل خلافاتها مع زوجها وتضيف : أنها تعلمت من كتاب ميراميل مورجان : أن الرجل هو سيد البيت وقبطان السفينة الأوحد وأن المرأة

لا تستطيع مواجهة الحياة دون قيادة هذا القبطان - عندما تجتاح الأعاصير تلك السفينة وسط أمواج الحياة المتلاطمة . وترى أن معظم زوجات هذه الأيام يعتقدن أن الرجل يتزوج المرأة ليحرمها من السعادة والهناءة ولكن الزوجة تخطىء كثيرا إذا سيطر عليها هذا الاعتقاد فى نظرتها إلى الرجل - وهى ترى أن المرأة الحقيقية تكمن فى عقلها لا فى جسدها وأن المتعة الجسدية تفقد أهميتها فى الاحتفاظ بالزوج إذا لم تتوفر للزوجة الرجاحة المطلوبة فى فكرها وعقلها .

ويقول المراسل : « السيدة جويس أمريكية شقراء يصعب عليك يا سيدتى ألا تأخذى حديثها مأخذ الجد والاهتمام - ولابد أنها سعيدة فى حياتها بعد هذا التحول فى علاقاتها الزوجية - فالابتسامة لا تفارق شفتيها - وهى تتحدث بثقة تامة عن آرائها وأفكارها » .

ورائدات هذه الحركة يحرصن على محاولة إقناع الدارسات فى الفصول الدراسية التى تعقدها الحركة بضرورة البقاء فى البيت وينادين بعدم خروج المرأة إلى ميدان العمل - فالبيت هو مملكة المرأة تعمل فيه لخدمة زوجها وأولادها وتنشئتهن التنشئة الاجتماعية الصالحة .

ثم تقول : « إن أروع الأعمال التى تناسب المرأة فى هذا العالم هو عملها داخل بيتها وعلى المرأة أن تتفاخر بهذا العمل وبرعايتها لزوجها وبأنوثتها التى فقدتها عندما خرجت إلى ميدان العمل » .

وقد سئلت السيدة جويس : « هل تعتقد وتؤمن إيمانا راسخا بأن زوجها هو سيد البيت فأجابت بابتسامة رقيقة إن البيت شأنه شأن آية هيئة أو منظمة فى ذلك – لابد وأن يكون له رئيس يوجه العمل بتعليماته وأوامره – وكما أنه لابد من قبطان واحد للسفينة يأتمر الجميع بأمره – كذلك لابد للبيت من سيد واحد فليس فى قدرة فارسين قيادة حصان واحد – لقد خلق الله الرجل ليكون سيد البيت فلماذا نعاند أنفسنا ونرفض التسليم بهذه الحقيقة ؟»

وقد سأل محرر الديلى اكسبريس السيدة جويس قائلا : فماذا لو اختلف الزوجان حول قرار واحد وحدث الصراع بينهما فلمن تكون الغلبة الحقيقية حينئذ ؟ وفاجأته بردها : « لو حدث واختلف الزوجان فى الرأى فالقرار الأول والأخير يجب أن يكون للزوج – حتى ولو كان رأيه خاطئا – إن هذا سيكون أفضل ألف مرة من الأخذ برأى الزوجة حتى ولو كانت على صواب .

ثم اتجهت إلى الحديث مع طالباتها اللاتى ينشدن السعادة فى حياتهن المنهكة المتعبة – اتجهت إليهن بكل انفعالاتها تحاول أن تعود بالمرأة إلى عصر ترى أنه أسعد عصور المرأة حين كان الرجل سيداً آمرا وناهيا وكانت المرأة هى القطة المدللة الوديعة المطيعة وتصيح قائلة : « عبرى عن إعجابك بزوجك ؟ اقبليه بأخطائه وعيوبه واقنعى نفسك بأنه أفضل زوج فى العالم – اعشقى ما يعشق من طعام وشراب مارسى هواياته بشغف واهتمام . حاولى بعد عودته إلى البيت ألا تنشغلى عنه بأى شىء حتى ولو بمكالمة هاتفية » .

وتنصت الطالبات بإمعان وهدوء وتتمنى كل واحده منهن لو استطاعت تنفيذ تعاليم رائدة حركة كل نساء العالم وأن تعلو شفتيها ابتسامة كتلك التى تشرق على شفتى السيدة جويس .

تركت الوظيفة :

الكاكلورى ضيفة القاهرة فى مطلع عام ١٩٧٩ زوجة عمدة هامبورج - أم لطفل عمره سبعة أشهر عملت قبل الوضع وتركت العمل الآن للتفرغ للقادم الجديد ولمسئولياتها كزوجة عمدة هامبورج وتقول : « كنت أعمل قبل ولادة ابنى ، مدرسة فى مدرسة المعوقين اجتماعيا وبعد الزواج بحوالى عام - تولى زوجى منصب عمدة الولاية فطلبت أن يخفض جدولى إلى النصف حتى أستطيع التوفيق بين حياتى الخاصة ووظيفتى الاجتماعية - وقد استقلت من عملى بعد ولادة طفلى حتى أتفرغ له ولمسئولياتى الجديدة - كما قررت أن أقلل من نشاطى الاجتماعى لأن حياتى الأسرية تأتى فى المرتبة الأولى »

هذه المرأة ألمانية - وقد تفرغت لبيتها ولتربية المولود الجديد ولم يتهمها أحد بالتخلف أو الرجعية أو التنازل عن حقوقها أو أن هذا مناف لكرامتها أو ما إلى ذلك من التهم التى تكال للمرأة فى مثل هذه الحالة فى بلادنا .

محكمة دولية جديدة :

لم يكد يمضى أسبوع على إنشاء محكمة فى بروكسل عاصمة بلجيكا وعاصمة السوق الأوربية المشتركة أطلق عليها « المحكمة

الدولية للنظر فى جرائم الرجال ضد النساء » حتى عقد اجتماع كبير من مجلس وزراء السوق التسع لمناقشة الموضوع – موضوع المساواة بين المرأة الأوربية والرجل الأوربى – وكان أبرز ما تناوله الاجتماع – نتائج استطلاع للرأى العام الأوربى الذى أجرى منذ فترة فى دول السوق بين الرجال والنساء وكانت النتيجة أن ٤٨٪ ممن جرى سؤالهن يعارضن بشدة إجراء أى تغييرات فى أوضاع المرأة أو منحها مزيدا من الحقوق ، ١٨٪ ذكرن أنه يمكن إجراء بعض التغييرات والإصلاحات ولكن بشكل معتدل ، ٢٤٪ ذكرن أن هذا الموضوع لا يحظى باهتمامهن على الإطلاق .

ومما كشف عنه الاستطلاع فى مجتمع الدانمرك وبريطانيا وهولندا أن هذه المجتمعات لا تعير هذا الموضوع اهتماما كبيرا على عكس فرنسا وايطاليا وايرلندا ولوكسمبرج .

دراسات نسائية :

لاحظت الدكتورة ابدابلين : أن سبب الأزمات العائلية فى أمريكا وسر كثرة الجرائم فى المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخلها ودخل الأسرة – فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق – ثم قالت : إن التجارب أثبتت أن عودة المرأة إلى البيت هى الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور .

والكاتبة الانجليزية الليدى كوك تقول : « علموا النساء الابتعاد عن الرجال أخبروهن بعاقبة الكيد الكائن لهن بالمرصاد » .

والدكتورة مايون هيليارد استاذة علم النفس والتى قضت اكثر من أربعين عاما فى دراسة سيكلوجية المرأة والرجل معا قالت : « المرأة أضعف من الرجل وأكثر تأثرا وحساسية وهى لذلك متعطشة دائما للتقدير تقدير زوجها كأم وكزوجة وكم من امرأة ضحت بعملها الذى كانت ترتزق منه قبل الزواج من أجل بيتها وأسرتها – وكم من امرأة بقيت وحدها ترقب زوجها وهو يصعد سلم النجاح على حساب سعادتها وراحتها »

اتركن هذه الشعارات :

فى ولاية انديانا الأمريكية – كان النقاش حادا بين واحد من الدارسين العرب وبين بعض زميلاته فى الجامعة فى أثناء دراستهم العليا – هو يدعو إلى الإسلام الذى رعى حقوق المرأة وصانها وهى تتكلم عن تحرير المرأة . ونوقشت قضية المرأة واحتكموا فى النهاية إلى عميدة الكلية ودار حوار هادىء شارك فيه الشاب المسلم . واستدعت العميدة واحدة من كبريات الأساتذة عندها ليتفقا على جواب واحد وكان جوابهما يجب أن تتركن تلك الشعارات وتعدن لحياتكن الطبيعية – فإن أوقات المرأة هى مناجاة طفل وأحلى سويعات عمرها بيت ترفرف عليه السعادة الزوجية وأشهى ثمرة تقطفها تربية أجيال ثم قالتا : « لقد تحصلنا على أكبر مركز تتوق إليه المرأة – بل الرجل فى هذه الحياة وأكبر رصيد تتخيله بنات حواء من السمعة والمال والجاه لكن ذلك كله خال من السعادة بمعناها الحقيقى – إن السعادة الحقيقية للمرأة – بعد ما درسنا الديانات

المختلفة قد رسمها دين هذا الرجل المسلم بتعاليمه ومبادئه والحقوق التى أعطاها للمرأة – وأشارتا إلى زميل الحوار »

مجلة الاعتصام القاهرية عدد ذى القعدة ١٤٠٠هـ

وللممثلات رأى :

لعل الممثلات هن أكثر نساء العالم شهرة واختلاطا وتمتعا بمباهج الحياة – ولعل الكثيرات من الفتيات يرغبن فى الوصول إلى ذلك . ترى هل الممثلات سعيدات بذلك ؟ تجيب على هذا السؤال « مارلين مونرو » وهى أشهر ممثلة إغراء فى رسالتها التى كتبتها عند انتحارها بقولها : « إنى أتعس امرأة على هذه الأرض – لم أستطع أن أكون أما – إنى امرأة أفضل البيت والحياة الشريفة الطاهرة – بل إن هذه الحياة العائلية هى رمز سعادة المرأة – لقد ظلمنى الناس وأن العمل فى السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة »

وتقول الممثلة الأمريكية : بربارت سترياند فى آخر مقالة صحفية لها : « لقد بدأت أتأكد من أن أشياء كثيرة تنقصنى – اهتممت أكثر مما يجب بحياتى الفنية ونسيت حياتى كامرأة وإنسانة – مما جعلنى اليوم أحسد النساء اللواتى عندهن الوقت الكافى للاعتناء بأزواجهن وأطفالهن والحقيقة : أن النجاح والشهرة لا معنى لهما فى غياب الحياة العائلية العادية حيث تشعر المرأة أنها امرأة »

منار الإسلام عدد ذى القعدة ١٤٠١هـ

وسعاد حسنى الممثلة المصرية الشهيرة تدلى برأيها لمجلة « المجلة اللندنية عدد ٧ من نوفمبر سنة ١٩٨١ » فتقول : « أعتقد أن مزاحمة المرأة للرجل فى جميع الأعمال ما هى إلا مقاومة لطبيعة الأشياء التى تقضى بأن المرأة لبيتها وأولادها - إن ما يحدث الآن من أزمات ومتاعب تتعرض لها المرأة العاملة هو الذى دفعنى إلى اعتناق هذا الرأى - إن التطور لا يجدى بلا أخلاق - إن شباب اليوم قد انطلق يتحرر من الأخلاق فى سطحية عجيبة - لم يعد احترام الوالدين واجبا ولم يعد احترام الكبار والنزول عند رأيهم فرضا »

المرأة اليابانية :

واليابان الدولة التى نهضت عقب الحرب العالمية الثانية بسرعة أذهلت العالم كله - ما وضع المرأة فيها ؟ تجيب على هذا السؤال « نوبو ابسكاوا سفيرة اليابان فى باريس » فى مجلة المجلة عدد ٢١ من نوفمبر سنة ١٩٨١ قائلة : « المرأة اليابانية تعمل قبل الزواج - أما بعد الزواج فهى إما أن تترك العمل مباشرة وإما أن تتابعه حتى يصبح لديها أولاد - بينما تلتزم المرأة منزلها وبخاصة وأنه يترتب عليها القيام بجميع متطلبات العائلة - تربية الأولاد - المطبخ - تنظيف البيت وما إلى ذلك من الأمور المنزلية - وحين يكبر الأولاد تستطيع المرأة اليابانية العودة إلى ممارسة نشاطاتها السابقة ثم أضافت قائلة : والجدير بالذكر هنا أن من أسباب قوة اليابان حاليا - عناية المرأة بالأولاد »

إلى ليبتى راجعة :

هذا العنوان كتاب قدمه التلفاز الفرنسى لندوة من السيدات - يمثلن مختلف المذاهب السياسية والاجتماعية بحضور مؤلفته السيدة كريستيان كولانج - من مطلع العام الميلادى الحاضر سنة ٧٩ والكتاب من منشورات مكتبة كراسة فى باريس وهو مكون من ١٨٨ صفحة - وقد نشر هذا الملخص فى مجلة التمدن الإسلامى الدمشقية عدد رجب سنة ١٤٠٠ هـ

« أثار الكتاب جدلا كبيراً فى الندوة التلفازية وتحدثت عنه الصحف والمجلات الفرنسية بإسهاب - ولا سيما وعودة المرأة لدارها لا تقره نصيرات المرأة المتحررة فى أوربا »

وقبل تأليف الكتاب استطاعت السيدة كريستيان كولانج - التوفيق بين دارها وعملها فربت أبناءها الأربعة وعملت فى الصحافة مدة خمسة وعشرين عاما وألفت كتابين عنوان الأول : السيدة والإدارة ، وعنوان الثانى : السيدة والسعادة .

بدأت المؤلفة القول بأنها بالنسبة لمجتمعها معدودة من الناجحات فى التوفيق بين حياة الأسرة والعمل خارجها - ثم عدت اللواتى نجحت مثلها فى التوفيق فوجدتهن كثيرات - ثم تساءلت قائلة : « هل السبب فى نجاحنا مهارتنا وشجاعتنا وصبرنا أم أن هناك أسبابا أخرى هامة كغنى الأسرة والعيش الوفير الذى تتمتع به طبقتنا الاجتماعية وحظنا فى الوصول إلى مهنة سهلة بالنسبة للمهن الأخرى

تسمح لنا بأن نكون دوما على مقربة من أبنائنا نأخذهم للطبيب إذا مرضوا ونلازم الدار إذا لازموا الفراش وهذا أمرلا يتيسر لأكثر النساء العاملات فى المصانع والمتاجر البعيدة جدا عن مساكنهن – كما لا يتيسر لهن استجار الممرضات والحاضنات والخادمات » .

ثم عمقت بحثها وطرحت السؤال التالى : « هل التوفيق بين حياة الأسرة الحقيقية والعمل المجدى خارج الدار أمر ممكن فى واقع الحياة أم لابد منه من الاختيار بين حياة الخدمة الطويلة داخل البيت طوال النهار والسآمة بين جدران الدار أو الجهد المضنى وتهدم الأعصاب فى الأعمال المهنية خارج البيت – هل لها أن تقضى وقتها ركضة وراء أبنائها وبناتها وحاجاتهم للغذاء والكساء والبيت النظيف طول اليوم أو أن تراهم أقل من ساعة فى الصباح وساعتين فقط فى المساء ؟ هل تقبل بحياة يعتبرها الناس حياة العصر القديم والمرأة المطيعة القابلة لكل شىء – أم تؤثر نمط الحياة الذى يعده الناس نمط التحرر والانطلاق والحرية الكاملة » .

يبدو لقارىء كتاب السيدة كريستيان كولانج – أنها وجدت صعوبة كبيرة فى الجواب على هذه الأسئلة لأنها تريد الأمرين معا – تريد أن تحيا الحياتين بصورة تامة كاملة – وهذا لا يمكن لإنسان – لذلك ظلت مترددة مدة طويلة – لأنها لا تدرى أى طراز من المعيشتين تختار ؟

إلى ليبتى راجعة :

هذا العنوان كتاب قدمه التلفاز الفرنسى لندوة من السيدات – يمثلن مختلف المذاهب السياسية والاجتماعية بحضور مؤلفته السيدة كريستيان كولانج – من مطلع العام الميلادى الحاضر سنة ٧٩ والكتاب من منشورات مكتبة كراسة فى باريس وهو مكون من ١٨٨ صفحة – وقد نشر هذا الملخص فى مجلة التمدن الإسلامى الدمشقية عدد رجب سنة ١٤٠٠ هـ

« أثار الكتاب جدلا كبيراً فى الندوة التلفازية وتحدثت عنه الصحف والمجلات الفرنسية بإسهاب – ولا سيما وعودة المرأة لدارها لا تقره نصيرات المرأة المتحررة فى أوربا »

وقبل تأليف الكتاب استطاعت السيدة كريستيان كولانج – التوفيق بين دارها وعملها فربت أبناءها الأربعة وعملت فى الصحافة مدة خمسة وعشرين عاما وألفت كتابين عنوان الأول : السيدة والإدارة ، وعنوان الثانى : السيدة والسعادة .

بدأت المؤلفة القول بأنها بالنسبة لمجتمعها معدودة من الناجحات فى التوفيق بين حياة الأسرة والعمل خارجها – ثم عدت اللواتى نجحت مثلها فى التوفيق فوجدتهن كثيرات – ثم تساءلت قائلة : « هل السبب فى نجاحنا مهارتنا وشجاعتنا وصبرنا أم أن هناك أسبابا أخرى هامة كغنى الأسرة والعيش الوفير الذى تتمتع به طبقتنا الاجتماعية وحظنا فى الوصول إلى مهنة سهلة بالنسبة للمهن الأخرى

تسمح لنا بأن نكون دوما على مقربة من أبنائنا نأخذهم للطبيب إذا مرضوا ونلازم الدار إذا لازموا الفراش وهذا أمرلا يتيسر لأكثر النساء العاملات فى المصانع والمتاجر البعيدة جدا عن مساكنهن - كما لا يتيسر لهن استئجار الممرضات والحاضنات والخادمات » .

ثم عمقت بحثها وطرحت السؤال التالى : « هل التوفيق بين حياة الأسرة الحقيقية والعمل المجدى خارج الدار أمر ممكن فى واقع الحياة أم لابد منه من الاختيار بين حياة الخدمة الطويلة داخل البيت طوال النهار والسآمة بين جدران الدار أو الجهد المضنى وتهدم الأعصاب فى الأعمال المهنية خارج البيت - هل لها أن تقضى وقتها ركضة وراء أبنائها وبناتها وحاجاتهم للغذاء والكساء والبيت النظيف طول اليوم أو أن تراهم أقل من ساعة فى الصباح وساعتين فقط فى المساء ؟ هل تقبل بحياة يعتبرها الناس حياة العصر القديم والمرأة المطيعة القابلة لكل شيء - أم تؤثر نمط الحياة الذى يعده الناس نمط التحرر والانطلاق والحرية الكاملة » .

يبدو لقارىء كتاب السيدة كريستيان كولانج - أنها وجدت صعوبة كبيرة فى الجواب على هذه الأسئلة لأنها تريد الأمرين معا - تريد أن تحيا الحياتين بصورة تامة كاملة - وهذا لا يمكن لإنسان - لذلك ظلت مترددة مدة طويلة - لأنها لا تدرى أى طراز من المعيشتين تختار ؟

بما خصه الله تعالى به من قوة فى تحريك الحياة واستخراج خيراتها - إنه مقام الخصائص الذاتية عند الرجل والتى تؤهله تلقائيا لمواجهة أعباء الحياة وإنمائها واطراد ذلك فى المجالات الحياتية الصعبة » .

وهى تعتقد أن المرأة تعتمد على الرجل عاطفيا وحياتيا وماديا وتقول : « إنها شخصيا تفضل أن يكون رجلها أقوى منها وتحب أن تذوب فيه من غير دكتاتورية أو فقدان لشخصيتها » .

زعيمة نسائية تدعو إلى الاهتمام بالزوج والأولاد :

فيليبس شلافى - الزعيمة النسائية الأمريكية - دعت المرأة إلى وجوب الاهتمام بالزوج والأولاد قبل الاهتمام بالوظيفة - وبوجوب أن يكون الزوج هو رب الأسرة وقائد دفتها كما جاء فى مجلة النهضة الكويتية بتاريخ تشرين الأول سنة ١٩٨٢ - وهى أم لستة أطفال وربة بيت ناجحة . وسعيدة .

وفى السنوات الثانى الأخيرة طافت فيليبس شلافى جميع أنحاء أمريكا - تدعو للوقوف فى وجه تعديل الحقوق المتساوية التى تطالب الحركات النسائية بإضافتها إلى الدستور الأمريكى - وفى هذا الصيف كسبت فيليبس شلافى المعركة - على الرغم من الحملة العنيفة التى نظمها معارضوها وضد أرائها - تقول : « إن المطالبات بتحرير المرأة أصبحن مهيمنات وذوات نفوذ - وبعضهن أصبحن فى مراكز ووظائف مهيمنة - هؤلاء النساء مندفعات مناضلات ولكنهن أيضا خاسرات - إن المرأة العادية فى أمريكا لا تريد

أن تعامل كما يعامل الرجل . إن الأعداد الكبيرة من النساء الأمريكيات اللاتى رفضن ما ذهبت إليه الداعيات إلى تحرير المرأة - هن النساء اللاتى يضعن الأسرة فى المقام الأول - إنهن يؤيدن ويدعين أزواجهن لأنهن يعرفن أن هذا هو السبيل المستقيم » .

عندما سئلت : لماذا لا تعطى المرأة فرصة اختيار الوظيفة إذا هى أرادت ذلك ؟

أجابت : إننى مع أية امرأة تختار ما تريد - فهذه بلاد حرة والكل فيها يختار ما يريد - لكن العديد من هؤلاء النسوة العاملات يدخلن فى الثلاثين من أعمارهن - ويدركن أنهن فقدن شيئا هاما - لقد اخترن ولكنهن لسن سعيدات بهذا الاختيار - ذلك أننا نرى الآن موجة من النساء يصبح لديهن أطفال وهن فى الثلاثينات من أعمارهن - هؤلاء هن النساء اللاتى قررن فى النهاية أن الأمومة والتفرغ لها أفضل من أن يذهبن كل يوم للعمل .

ثم تقول : عندما نسمع هؤلاء المتحدثات عن تحرير المرأة - يبدو لك أنهن يعنين التحرر من الزواج والأسرة والأطفال - أعتقد أنه لا توجد رغبة لآية امرأة عاقلة للتحرر من كل هذا - إننى أومن فى أن ترعى أطفالها وأؤمن أيضا بتفاهم اجتماعى يجعل الزواج سعيدا .

وتتحدث فيلبس عن علاقتها مع زوجها فتقول : « إننى دائما أدعه يشعر بأنه المسئول فى البيت - لأن هذه هى طبيعة الحياة

بما خصه الله تعالى به من قوة فى تحريك الحياة واستخراج خيراتها - إنه مقام الخصائص الذاتية عند الرجل والتى تؤهله تلقائيا لمواجهة أعباء الحياة وإنمائها واطراد ذلك فى المجالات الحياتية الصعبة » .

وهى تعتقد أن المرأة تعتمد على الرجل عاطفيا وحياتيا وماديا وتقول : « إنها شخصيا تفضل أن يكون رجلها أقوى منها وتحب أن تذوب فيه من غير دكتاتورية أو فقدان لشخصيتها » .

زعيمة نسائية تدعو إلى الاهتمام بالزوج والأولاد :

فيليبس شلافى - الزعيمة النسائية الأمريكية - دعت المرأة إلى وجوب الاهتمام بالزوج والأولاد قبل الاهتمام بالوظيفة - وبوجوب أن يكون الزوج هو رب الأسرة وقائد دفتها كما جاء فى مجلة النهضة الكويتية بتاريخ تشرين الأول سنة ١٩٨٢ - وهى أم لستة أطفال وربة بيت ناجحة . وسعيدة .

وفى السنوات الثمانى الأخيرة طافت فيليبس شلافى جميع أنحاء أمريكا - تدعو للوقوف فى وجه تعديل الحقوق المتساوية التى تطالب الحركات النسائية بإضافتها إلى الدستور الأمريكى - وفى هذا الصيف كسبت فيليبس شلافى المعركة - على الرغم من الحملة العنيفة التى نظمها معارضوها وضد أرائها - تقول : « إن المطالبات بتحرير المرأة أصبحن مهيمنات وذوات نفوذ - وبعضهن أصبحن فى مراكز ووظائف مهيمنة - هؤلاء النساء مندفعات مناضلات ولكنهن أيضا خاسرات - إن المرأة العادية فى أمريكا لا تريد

أن تعامل كما يعامل الرجل . إن الأعداد الكبيرة من النساء الأمريكيات اللاتى رفضن ما ذهبت إليه الداعيات إلى تحرير المرأة – هن النساء اللاتى يضعن الأسرة فى المقام الأول – إنهن يؤيدن ويدعين أزواجهن لأنهن يعرفن أن هذا هو السبيل المستقيم » .

عندما سئلت : لماذا لا تعطى المرأة فرصة اختيار الوظيفة إذا هى أرادت ذلك ؟

أجابت : إننى مع أية امرأة تختار ما تريد – فهذه بلاد حرة والكل فيها يختار ما يريد – لكن العديد من هؤلاء النسوة العاملات يدخلن فى الثلاثين من أعمارهن – ويدركن أنهن فقدن شيئا هاما – لقد اخترن ولكنهن لسن سعيدات بهذا الاختيار – ذلك أننا نرى الآن موجة من النساء يصبح لديهن أطفال وهن فى الثلاثينات من أعمارهن – هؤلاء هن النساء اللاتى قررن فى النهاية أن الأمومة والتفرغ لها أفضل من أن يذهبن كل يوم للعمل .

ثم تقول : عندما نسمع هؤلاء المتحدثات عن تحرير المرأة – يبدو لك أنهن يعنين التحرر من الزواج والأسرة والأطفال – أعتقد أنه لا توجد رغبة لآية امرأة عاقلة للتحرر من كل هذا – إننى أومن فى أن ترعى أطفالها وأؤمن أيضا بتفاهم اجتماعى يجعل الزواج سعيدا .

وتتحدث فيلبس عن علاقتها مع زوجها فتقول : « إننى دائما أدعه يشعر بأنه المسئول فى البيت – لأن هذه هى طبيعة الحياة

– لابد من مسئول واحد ورئيس لكل شيء – لكن الداعيات إلى تحرير المرأة يقلن : أن التفاهم الاجتماعي أن تكتسبى كل شيء – تماما – كالزوج بمجرد أن تحملى اسمه الأخير – وتضيف قائلة : إن هذا لا أؤيده اطلاقا – وترك المسئولية للزوج لا يوجد فيه أى ظلم أو إهانة وهو بالنسبة لى دليل على وحدة العائلة » .

وسئلت : أليس رأيك بأن الزوج هو الرئيس فيه شيء من الرجعية ويعتبر من مخلفات الماضى ؟

وأجابت : إن المؤسسات الناجحة تميل إلى أن يكون شخص واحد فقط مسئولا عنها ويديرها – إن شركات النفط ليس فيها رئاسة مشتركة – ثم إنه لا يوجد رؤساء مساعدون فى البيت الأبيض – هناك رئيس واحد فقط – ونفس الشيء يجب أن يكون للعائلة – لأن من الأنجح فى كل شيء أن يكون هناك صانع قرار واحد أو بالأحرى متخذ قرار واحد – إننى أفضل من زوجي فى الأعمال المنزلية وفى العناية بالأطفال – ولهذا فإننى أقوم بها – وأترك له تسيير بقية الأمور بما فيها شئون البيت .

وهى تحرص دائما على أن تذكر مستمعيها بأن زوجها هو المسئول فى البيت فتقول : « أولا : أود أن أشكر زوجى فريد لسماحه لى بالمجيء إلى هنا والتحدث إليكم ... ولم تسلم هذه المرأة من التهديدات ، ولكنها تقول فى ذلك : إننى لن أدع كل هذه الأساليب تحطم مبدئى وآرائى – بل إننى لن أنزعج منها اطلاقا – لأننى على استعداد لأن أضحى بكل شيء فى سبيل ماأومن به »

ثم تضيف قائلة : « إن المكاسب الحقيقية للنساء الأمريكيات هى مكاسب نظام المؤسسات الحرة التى قللت أعمالهن حتى أصبحت ساعات قليلة يوميا – فهناك الآن غسالات الأطباق والملابس الجاهزة والتكييف وأنظمة التلفاز والأسواق المركزية – وكل هذه مكاسب للمرأة – ولكن هناك أيضا تغييرات جعلتها غير سعيدة – إن نسبة الطلاق عالية وكذلك الإجهاض ونسبة المواليد غير الشرعيين – وهناك ضعف عام وشيخوخة مبكرة فى المرأة – لأنها ليست سعيدة فى حياتها الحالية ... والجريمة أصبحت مرتفعة والنساء أصبحن لايشعرن بالأمان عندما يمشين فى الشارع كما كان الحال فى الماضى إننى أعرف أن عدد النساء العاملات فى تزايد مستمر – ولكن إذا كان هؤلاء النساء سعيدات أم غير سعيدات فهذا أمر نسبى يعتمد على آراء الإنسان ومعتقداته » .

أمام لجنة تحقيق :

وعندما مثلت أمام لجنة تحقيق فى قضايا النساء اللواتى يتعرضن للاعتداء الجنسى قالت : « إن النساء اللاتى حدث عليهن الاعتداء – هن اللاتى طلبن ذلك – وكن فى حقيقة الأمر الداعيات له .. ثم قالت : « إننا نتوقع من الفتيات فى المدارس العليا أن يتغلبن على هذه المشكلة – فلما لانتوقع نفس الشىء من النساء البالغات الأخريات – إن معظم الرجال يعاملون النساء بالطريقة التى يتوقعون أنهن يردنها.. »

وبالنسبة للداعيات لتحرير المرأة اللاتى يرين أن هناك تناقضا فى كون المرأة المهيمنة ناطقة باسم الملايين من ربات البيوت غير

العاملات تقول : « لا يوجد فى هذا أى تناقض – إننى أعتنى ببيتى وقد ربيت ستة أطفال وقد كبروا وأصبحوا فى غير حاجة إلى رعايتى »

وتعترف بأن زوجها قد كبح بعض طموحاتها – وحتى فى الوقت الحاضر يعترض فى بعض الأحيان على برامج محاضراتها التى تبقيها بعيدا عن البيت يومين فى الأسبوع فى المتوسط – وأنه كثيرا ما اضطرها إلى التخلى عن الالتحاق بمقرر فى القانون فى إحدى الجامعات – وعند ذلك تعتذر قائلة : « لقد غيرت رأيى تماما كأى امرأة »

– وعن هذه الطاعة الرائعة لزوجها تقول : « إن هذا ما يجب أن تفعله النساء الإيجابيات » .

قوة المرأة الإيجابية :

وللزعيمة النسائية الأمريكية كتاب بعنوان « قوة المرأة الإيجابية » وفى هذا الكتاب تورد أمثلة من النساء الإيجابيات اللاتى يسرن على النظام الذى تدعو إليه وتضرب أمثلة على ذلك الملكة فكتوريا وكاترين هيبورت – وهو يدعو إلى الاهتمام بالبيت والأسرة وإلى ضرورة عودة المرأة إلى القيم والتقاليد الأمريكية المحافظة .

وهى تنوى القيام بحملة لتقوية العلاقات الأسرية ومقاومة الإجهاض والشذوذ الجنسى والضغط من أجل تعليم أفضل فى المدارس – كما أنها تنوى العمل لتحسين النظرة العامة إلى النساء اللاتى يفضلن عدم الانخراط فى العمل والتفرغ للبيت وتقول

فى هذا : « إننى أذكر أن الأمهات كن طبقة محترمة جدا واود أن أرى هذه الصورة وقد عادت ثانية »

وقالت فى محاضرة : « إن كل ما تذهب إليه حركات تحرير المرأة هراء فى هراء – وإن العمل الأساسى للمرأة يجب أن يكون العناية بزوجها وأطفالها – لأن الله تعالى خلقنا من أجل ذلك – ثم تقول : إننى لا أعارض أن تعمل المرأة – ولكن يجب ألا يكون ذلك على حساب إهمال بيتها وأطفالها – إن حركات تحرر المرأة الحالية تسبب قدرا كبيرا من الإجهاد والتوتر فى المجتمع – إن الاختلاف بين الجنسين – من أجل سعادة العالم والموضوع ليس موضوع مساواة بين الرجل والمرأة – ولكن كون المرأة مساوية فى الأهمية –إن الرجل يجب أن يكون رب العائلة – إذ لابد أن يكون هنا كابتن واحد لكل بيت – والرجل يجب أن يكون هذا الكابتن » .

الرجل المسير :

الرجل المسير عنوان كتاب للكاتبة الأمريكية المعروفة السيدة « ايثيرفيلار » –تؤكد فيه الكاتبة أن الرجل مظلوم – لأن المرأة بعدم قدرتها على التصرف السليم تعتمد عليه دائما فى تصريف شئونها – ثم تعود وتتهمه بأنه السبب فى محنتها – والرجل يقوم بذلك وهو يشعر بسعاد غامرة – لأن المرأة نجحت فى أن تدير العالم بصورة تجعل الرجل لا يشعر بالظلم – بل على العكس تشعره بالسعادة والتفوق .

وتحرص الكاتبة على : أن تحذر الرجل من مصيدة تنسجها له المرأة فى العمل والدراسة – فهذا انطباع قد يحدث عند رؤية أعداد النساء الكبيرة فى الأعمال والجامعات – هذا الانطباع قد يعنى أن تغيرا جوهريا قد حدث للمرأة وتقول الكاتبة : « أيها الرجَال احترسوا فشغل المرأة الشاغل – هو البحث عن زوج – ومجالات العمل والدراسة هى الشباك التى توقع الفريسة المطلوبة »

وقد ترجم الكتاب إلى ١٦ لغة – ويحمل الآن قائمة أكثر الكتب التى تباع فى الغرب »

مجلة زهرة الخليج الظبيانية بعددها الصادر فى ١٩٨٠/٩/١

فتاة ترفض حركات التحرر النسائية :

وقد نشرت صحيفة الأخبار القاهرية بعددها الصادر فى ١٩٧٢/١٠/٢٠ مايلى : أقيمت هذا الأسبوع الحفلة السنوية لسيدة العام حضرها عدد كبير من السيدات على اختلاف مهنهن وكان موضوع الحديث الخطب التى ألقيت فى حضور (الأميرة آن) البريطانية هو « حرية المرأة وماذا تطلب المرأة ؟»

وحصلت على تأييد الاجتماع الشامل فتاة فى السابعة عشرة من عمرها – وقد رفضت الفتاة رفضا باتا الحركة النسائية وقالت : « إننى أريد أن أظل فتاة لها أنوثتها – ولا أريد أن أرتدى البنطلون – بمعنى تحدى الرجل وأننى أريد أن أكون امرأة وأن يكون زوجى رجلا » وقد صفق لها الجميع وعلى رأسهن الأميرة آن .

مأساة المرأة :

الليدى هاريلك – زوجة اللور هاريلك – سفير انجلترا فى أمريكا – وهى كاتبة متخصصة فى المرأة تقول : كما جاء فى صحيفة الأخبار القاهرية عدد ١٩٧٧/٧/١١ : « حقيقة إن أسهل شيء عند المرأة فى هذه الأيام أن تعلن استقلالها وأنها تتساوى مع الرجل فى العمل – أما بالنسبة لمنزلها وعائلتها – فهما تمثلان المرتبة الثالثة أو الرابعة – وقد أزعجنى جدا وأحرجنى فى نفس الوقت أن أجد بعض النساء يتفاخرن بأنهن لا يجدن الطهى أو الحياكة أو القيام بأعمال المنزل »

وقد لاحظت الكاتبة : أن المأساة بالنسبة للمرأة – أن تتخلى عن واجباتها الحيوية كامرأة أن تتخلى عن إقامة بيت سعيد – أن تتخلى عن الطهى والحياكة وإنجاب أولاد ظرفاء – أن تتخلى عن كل مسئولياتها تجاه الأسرة مقابل أن تعيش كما تشاء – إن المرأة التى تفضل حياة اللهو والاستهتار واللامسئولية والمديح والثناء والجرى وراء الموضة والتفاخر بالجهل بأبسط المسئوليات المنزلية – تنقص من قدرها وتجعل من نفسها ضحية لتيار اللامسئولية .

المساواة بين الجنسين وماذا تعنى ؟

الدكتورة اليس روسى الأمريكية ألفت كتابا عنوانه « المرأة فى أمريكا » صدر عام ١٩٦٥ وفيه تقول تحت مقال بعنوان : « المساواة بين الجنسين »

إن المقصود بالمساواة بين الجنسين هو تخنيث أدوار النساء والرجال بحيث تتشابه أدوار النساء والرجال فى مجالات النشاط العقلى والنفسى والسياسى والمهنى – ويتكاملان فقط فى المجالات التى تفرضها الفروق التشريحية بين الجنسين .

وتضيف الكاتبة توضيحا آخر فتقول : « إن المقصود بتخنيث الأدوار التى يريدها بعض الناس هو أن يعمد كل جنس إلى تبنى وتنمية الخصائص والصفات التى كانت تخص الجنس الآخر وحده – وذلك بأن نسمح للصبيان وهم صغار بأن يتصفوا بالصفات الأنثوية كالعذرية والطراوة ونتقبل منهم هذا السلوك عندما يكبرون ويصبحون رجالا – وفى نفس الوقت نسمح للفتيات وهن صغار بأن يتصفوا بالصفات الذكرية التى عرفناها فى الصبيان كالجرأة وشدة المراس وأن نتقبل منهم هذا السلوك عندما يكبرون ويصبحن نساء كاملات ... »

والمقصود بتخنيث الأدوار بصفة عامة – هو توسيع دائرة التشابه والمشاركة بين النساء والرجال فى التفكير وفى السلوك وفى العادات – بحيث كل ما يصدر عن أحد الجنسين مقبولا أيضا من الجنس الآخر وبدون تمييز أو تفرقة .

مرحلة الضياع

رينيه مارى لوفاجيه – رئيسة الجمعية النسائية الفرنسية تقول : « إن المطالبة بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة تصل بهما إلى مرحلة

الضياع حيث لا يحصل أحد من الطرفين على حقوقه »
صحيفة الأهرام القاهرية فى ١٩٨٠/٥/٦

ويقول الدكتور فيليبس لفنجستون الأستاذ بجامعة نيويورك :
« إن بعض الأطفال فى مراكز الرعاية ذوو تصرفات تصعب معالجتها عن طريق تعليمهم أفضل السبل لكى يصبحوا ذوى تصرفات طبيعية – ومثل هذه الحالات لا يمكن معالجتها إلا بحنان الأمومة وحب الوالدين »

صحيفة العرب القطرية فى ١٩٨٠/٣/٩

أريد العودة إلى المنزل :

السيدة كريستيان كولنج الكاتبة الفرنسية المعروفة ألفت كتابا تحت عنوان : « أريد العودة إلى المنزل »

قالت فيه : إنه إذا كان للمرأة طفل فهذا مشكلة وإذا كان لديها طفلان فإن المشكلة تصبح عشرة أضعاف – أما إذا كان لديها ثلاثة أطفال فعندها تتضاعف المشكلة مائة مرة – ذلك لأن للأطفال حاجات نفسية وعاطفية ومستلزمات جسدية أساسية – لا تستطيع غير الأم توفيره وإنجازها بالقدر الكافى .

ثم قالت : إن المدنية التى لا تقدم إلا العناية التامة للأطفال هى مدنية مهددة بالموت .

✓ مللت المساواة :

قامت مجلة مارى مكير الباريسية – باستفتاء الفتيات الفرنسيات من جميع الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية شمل ٢,٥ مليون عن رأيهن فى الزواج من العرب – وكانت الإجابة لـ ٩٠٪ منهن : بنعم

والأسباب كما قالتها نتيجة الاستفتاء :

– مللت المساواة بالرجل ...
– مللت حالة التوتر الدائم ليل نهار ...
– مللت الاستيقاظ عند الفجر والجرى وراء المترو ...
– مللت الاستيقاظ للعمل حتى السادسة مساء فى المكتب والمصنع ...
– مللت الحياة الزوجية التى لا يرى الزوج فيها زوجته إلا عند النوم ...
– مللت الحياة العائلية التى لا ترى الأم فيها أطفالها إلا حول مائدة الطعام ...

ومن الطريف أن العنوان كان : « وداعا عصر الحرية والمساواة وأهلا بعصر الحريم »

وفى ألمانيا : قامت إحدى الهيئات بعمل استفتاء شمل عدة آلاف من الفتيان والفتيات فى سن الرابعة عشرة والخامسة عشرة – وكان السؤال عن أهم شيء تتطلبه آماله فى الحياة الفردية فى المستقبل وكانت النتيجة كالآتى :

- ٨٢٪ من البنين – النجاح فى العمل
- ١٢٪ فقط من الفتيان النجاح فى العمل – والباقيات فى الحياة الزوجية .

ومعنى هذا : « أن كل الجهود التى يبذلها أصحاب فكرة المساواة لم تؤت ثمارها ولم تصرف المرأة عن رغبتها فى أداء وظيفتها الأصلية -- وعاد كل نوع يطالب بأداء وظيفته فى المجتمع الإنسانى .

ومن هنا يتبين لنا أن وظيفة المرأة تحتاج إلى نظرة موضوعية فى الشرق والغرب – تجعلهم يعيدون كل شىء إلى نظامه الطبيعى – فيسعد الفرد وتسعد الأسرة ويسعد المجتمع الإنسانى كله ويبتعد عن المشكلات الجسمية والنفسية المتنوعة التى حلت – من جراء ذلك بعده عن الأوضاع الطبيعية التى فطر الله الناس عليها .

الفصل الخامس

المرأة فى الشريعة الإسلامية

علاقة مودة ورحمة :

خلق الله تعالى آدم ليكون خليفة فى الأرض يقوم بعمارتها وإقامة العدل وإحقاق الحق وإبطال الباطل طبقا لأوامر الله تعالى ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ البقرة / ٣٠ وخلق حواء من آدم لتكون عونا له فى هذه الحياة - يسكن إليها ويطمئن قلبه بها - فالمرأة لذلك جزء من الرجل تكمله ويكملها - ولكن مهمة كل واحد منهما تختلف عن مهمة الآخر - وإلا لما كان هناك ضرورة لخلق نوعين من جنس واحد .

والعلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على أساس عنصرين هامين فى هذه الحياة هما المودة والرحمة ﴿ **ومن أياته: أنْ خلقَ لكمْ من أنفسكُم أزواجاً لتسكُنوا إليْها وجعلَ بينكم مودةً ورحمةً** ﴾ الروم/٢١

وهذان المعنيان تتعلق بهما جميع المعانى الأخرى من حب وانسجام - ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالمودة والرحمة وسمى نفسه الودود الرحيم - وحين تقوم العلاقة بين الرجل والمرأة على المودة والرحمة فإن ذلك يؤدى إلى الاستقرار - والاستقرار يؤدى

- ٨٢٪ من البنين - النجاح فى العمل
- ١٢٪ فقط من الفتيان النجاح فى العمل - والباقيات فى الحياة الزوجية .

ومعنى هذا : « أن كل الجهود التى يبذلها أصحاب فكرة المساواة لم تؤت ثمارها ولم تصرف المرأة عن رغبتها فى أداء وظيفتها الأصلية -- وعاد كل نوع يطالب بأداء وظيفته فى المجتمع الإنسانى .

ومن هنا يتبين لنا أن وظيفة المرأة تحتاج إلى نظرة موضوعية فى الشرق والغرب - تجعلهم يعيدون كل شىء إلى نظامه الطبيعى - فيسعد الفرد وتسعد الأسرة ويسعد المجتمع الإنسانى كله ويبتعد عن المشكلات الجسمية والنفسية المتنوعة التى حلت - من جراء ذلك بعده عن الأوضاع الطبيعية التى فطر الله الناس عليها .

الفصل الخامس

المرأة فى الشريعة الإسلامية

علاقة مودة ورحمة :

خلق الله تعالى آدم ليكون خليفة فى الأرض يقوم بعمارتها وإقامة العدل وإحقاق الحق وإبطال الباطل طبقا لأوامر الله تعالى ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ البقرة / ٣٠ وخلق حواء من آدم لتكون عونا له فى هذه الحياة - يسكن إليها ويطمئن قلبه بها - فالمرأة لذلك جزء من الرجل تكمله ويكملها - ولكن مهمة كل واحد منهما تختلف عن مهمة الآخر - وإلا لما كان هناك ضرورة لخلق نوعين من جنس واحد .

والعلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على أساس عنصرين هامين فى هذه الحياة هما المودة والرحمة ﴿ **ومن أياته: أنْ خلقَ لكمْ من أنفسكُم أزواجاً لتسكُنوا إليّها وجعلَ بينكم مودةً ورحمةً** ﴾ الروم/٢١

وهذان المعنيان تتعلق بهما جميع المعانى الأخرى من حب وانسجام - ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالمودة والرحمة وسمى نفسه الودود الرحيم - وحين تقوم العلاقة بين الرجل والمرأة على المودة والرحمة فإن ذلك يؤدى إلى الاستقرار - والاستقرار يؤدى

إلى السعادة التى ترفرف على الرجل والمرأة وعلى الأسرة كلها وبالتالى على المجتمع الإسلامى كله – وهذه العلاقة تقوم على العقل والعاطفة وامتزاج العقل بالعاطفة يضع الأمور فى نصابها – وبذلك يمكن التغلب على كل اختلاف أو تنافر أو خصام قد يحدث بين الزوجين .

ولقد حذر الله تعالى آدم وحواء من إبليس بقوله : ﴿ **فَلَا يُخْرِجَنَّكُما من الجنَّةِ فَتَشْقَى** ﴾ طه ١١٧

وبهذه الآية حدد الله سبحانه وتعالى مهمة الشقاء والعمل والكد والكسب وجعلها للرجل وحده – ولو أنه أراد الشقاء للمرأة أيضا لقال فتشقيا بدلا من فتشقى – كما بين الله سبحانه وتعالى اختلاف وظيفة المرأة عن وظيفة الرجل وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **والليل إذَا يغشَى والنَّهارِ إذَا تَجَلىَّ وما خلقَ الذكرَ والأنثى إنَّ سَعْيَكُم لشَتَّى** ﴾ الليل

ومهمة المرأة أن يسكن الرجل إليها فتخفف من آلامه وتهون عليه متاعبه وتقوم بكل ما يلزمه من متطلبات الحياة ثم هى بعد ذلك مصدر المودة والرحمة التى يحتاج إليها الإنسان – فحين يرجع إلى بيته يجد مصدرا من مصادر الحنان والعطف والرقة فهى زوجه – فإذا وجد ذلك كله استطاع أن ينفض عن نفسه كل أعباء الحياة – فالراحة التى فقدها فى الخارج وهو متحفظ فى ملابسه وفى مشيته وفى كلامه سيجد فى بيته الراحة والسكن والطمأنينة .

ولقد كانت السيدة خديجة رضى الله عنها خير سكن وخير سند للرسول صلوات الله عليه منذ رسالته وحتى وفاتها – ومن هنا كان حزنه الشديد عليها طوال حياته .

ومن الأمثلة الرائعة التى يحدثنا عنها التاريخ موقف أم سلمة أم المؤمنين زوج النبى الكريم ﷺ فى صلح الحديبية حين أشارت على النبى عليه السلام أن يتحلل من إحرامه ليتابعه الصحابة على ذلك وكان رأيها هو الرأى السديد، ثم إن هناك مهمة أخرى للمرأة لها أهميتها فى استمرار الجنس البشرى وهى إنجاب الأطفال وتربيتهم التربية الكاملة المتكاملة التى يحتاج إليها الطفل – ذلك لأن المرأة تتميز بالأمومة – أى الإنتاج البشرى وتربيته ويتجلى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **والله جعلَ لكم من أنفسِكُم أزواجاً وجعلَ لكُم من أزواجِكُم بنينَ وحَفَدَةً** ﴾ النحل /٧٢

مواطن الاشتراك :

ولما كان الرجل والمرأة من جنس واحد – فإنهما يشتركان فى أشياء – هى التى يشترك فيها الجنس الواحد – فهما يشتركان فى طبيعة التكوين للرجل والمرأة يقول الله تعالى : ﴿ **يأيُّها الناسُ اتقوا ربكُم الذى خلَقَكُم من نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زَوْجَها** ﴾ النساء/١ – كما أنهما يشتركان فى الكرامة الإنسانية التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها : ﴿ **ولقد كرَّمنَا بَنِى آدم** ﴾ الإسراء/٧٠

والرجل والمرأة يشتركان فى الثواب والعقاب – وكل ما يترتب

على الإيمان من عمل - فالمرأة كالرجل فى حسابها على ما تقدمه من عمل - ولقد أفاضت الأيات الكريمة فى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ إنَّ المسلمينَ والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمنات والقانتينَ والقانتاتِ والصادقينَ والصادقاتِ والصابرينَ والصابراتِ والخاشعينَ والخاشعات والمتصدقينَ والمتصدقات والصائمينَ والصائماتِ والحافظينَ فروجُهم والحافظاتِ والذاكرينَ اللهَ كثيراً والذاكراتِ أعدَّ اللهُ لَهمُ مغفرةً وأجراً عظيماً ﴾ الأحزاب/٣٥

كما يقول الله تعالى : **﴿ من عَمِلَ صالحاً من ذكرٍ أو أنثىَ وهو مؤمنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طيبةً ولنَجْزِيَنَّهُم أجرَهُم بأحسن ما كانوا يعملونَ ﴾** النحل/٩٧ ويقول الله تعالى فى آية أخرى : **﴿ فاستجابَ لهمُ ربُهُم أنّي لا أُضيعُ عملَ عاملٍ مِنكُم من ذكرٍ أو أنثى بعضُكُم مِن بعضٍ - فالذين هاجَرُوا وأُخرِجُوا من ديارهم وأوذُوا فى سبيلِي وقاتلُوا وقُتِلُوا لأُكفِرَنَّ عنهُم سيئَاتِهِم ولأُدخِلنَّهُم جناتٍ تجرِى مِنْ تحتِهَا الأنهارُ - ثواباً من عند اللهِ واللهُ عندهُ حسنُ الثوابِ ﴾** آل عمران/١٩٥

حقوق المرأة فى الإسلام :

وللمرأة مثل ما للرجل فى الحقوق المدنية كالبيع والشراء والملكية والهبة والإجارة ولها أن تتصرف فى ملكها بأى تصرف وليس عليها وصى قبل الزواج أو بعده - وهذه الناحية لم تحصل عليها بعض النساء فى أرقى المجتمعات الغربية حتى الآن - فهى قبل الزواج تحت وصاية الأب أو الأخ - وهى بعد الزواج تحت وصاية الزوج .

والنظام المالى فى فرنسا يجعل المرأة تابعة لزوجها – فالزوج هو الذى يدير الأموال المشتركة وله حق التصرف بالبيع أو الرهن أو غير ذلك دون إذن من الزوجة – والزوجة لا تملك أن تبرم أى عقد بشأن هذه الأموال إلا بموافقة الزوج يقول جوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب « إن حقوق الزوجة المسلمة أفضل بكثير من حقوق الزوجة الأوربية – إن الزوجة المسلمة تتمتع بأموالها الخاصة – فضلا عن مهرها وعن أنه لا يطلب منها أن تشترك فى الإنفاق على أمور المنزل – وهى إذا أصبحت طالقا أخذت النفقة – وإذا تأيمت أخذت نفقة سنة ونالت حصة من تركة زوجها »

وللمرأة فى الإسلام حق التعلم يقول الرسول الكريم ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وقد طلب النساء من النبى صلوات الله عليه أن يجعل لهن يوما يعلمهن فيه ويعظهن – فحدد لهن يوما .

وللمرأة الحرية الكاملة فى اختيار الزوج – فهى كالرجل يباح لها فى أثناء الخطبة أن تنظر إليه وتستمع لحديثه بمقدار ما يعطيها انطباعا بأنه مقبول لديها – وذلك فى حدود ما شرع الله تعالى وعند عقد الزواج يؤخذ رأيها وتسأل عنه ورأيها ضرورى لإتمام عقد الزواج وفى ذلك يقول الرسول عليه السلام : « الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأمر (تستأذن) وإذنها سكوتها » .

ولو أن أباها زوجها دون علمها أو على الرغم منها - فلها الحق فى أن تفسخ هذا العقد .

عدالة المنهج الإسلامى :

فالمنهج الإسلامى يتبع الفطرة فى تقسيم الوظائف وتقسيم الأنصبة بين الرجال والنساء فلكل منهما وظائف معينة لحساب الإنسانية - وتصوير الموقف كما لو كان معركة حادة بين الرجل والمرأة فيه تجن على الحقيقة وهو ضد مصلحة المجتمع الإسلامى - بل والمجتمع الإنسانى كله - فالمسألة هى توزيع اختصاصات وتنويع وتكامل وعدل بعد ذلك فى المنهج الإسلامى - لأن الذى شرعه هو خالق الذكر والأنثى وهو أدرى بما يصلحهم وما يصلح لهم .

والإسلام كرم المرأة - فجعل لها الحق فى النفقة والسكنى وألا تكلف بعمل خارج المنزل - فإن حرفتها الأمومة وصناعة الأجيال وهى أشرف صناعة وأهمها فى هذه الحياة .

يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى فى ذلك : « والإسلام لا يمنع المرأة من العمل ولكنه يضعه فى حدود الضرورة وقد بين القرآن الكريم أمثال هذه الضرورة فى قصة ابنتى شعيب - إذ أن أباهما كان شيخا لا يقوى على السعى وليس لهما أخوة من الذكور - ثم هما تلزمان حدودهما فلا تزاحمان - بل تنتظران حتى يصدر الرعاء وهى بذلك لا تنسى نوعها ولا تزاحم كما يزاحم الرجال - وبالتالى فقد ظهر فى هذه القصة مهمة المجتمع بالنسبة للمرأة فى إعانة موسى

لهما على السقى – ومن هنا يتضح لنا أن تنظيم الإسلام للأسرة قائم على الفطرة التى تخصص المرأة لوظيفتها .

رعاية الإنتاج البشرى :

وحين يخصص الإسلام المرأة للأسرة فإنما يخصصها لرعاية الإنتاج البشرى – وهو خير ما فى الوجود – ويعهد إليها بصيانة قدس من أقداس الإسلام ... والمجتمع الإسلامى المحض هو الذى يتربى فيه الطفل ويتشرب أخلاق الإسلام وعقيدته وشريعته ويقوم بواجب الخلافة فى الأرض – ولذلك يجب ألا نشغل أعصابها بإعالة نفسها – وهى تقوم بهذه المهمة المقدسة ولا نفسد أعصابها بالعمل الذى تشارك فيه الرجل – ثم بتوالى الأيام تتحول إلى جنس ثالث يعذب ويشقى .

ومن هنا فإن الإسلام لم يكتب على المرأة الجهاد : لأنها تلد الرجال الذين يحاربون – وهى فى هذا الميدان أقدر وأنفع :

أقدر : لأن كل خلية فى جسمها معدة لهذا العمل .
وأنفع : بالنظر إلى مصلحة الأمة على المدى الطويل .

فالمعركة حين تحصد الرجال وتستبقى النساء – تدع للأمة مراكز إنتاج الذرية فتعوض الفراغ – ورجل واحد فى النظام الإسلامى يمكن أن يجعل نساء أربعا ينتجن ويملأن الفراغ الذى تتركه الحروب بعد فترة الأمان – فالمرأة هى المكان الطبيعى الذى يسكن إليه الرجل – هى تكمله – وهو يكملها – والتفوق الطبيعى

فى استعداد الرجل ونهوضه بأعباء المجتمع وبتكاليف الحياة البيتيه يمكنه من القوامة على المرأة .

والإسلام حين منح المرأة هذه الحقوق – منحها لها دون طلب ودون جمعيات نسائية – لأن الذى أعطى لها هذه الحقوق هو الذى خلقها وخلق الرجل وهو أدرى بإمكانات كل منهما – ومن هنا فقد جعل الإسلام الرجل رجلا والمرأة امرأة وأودع كُلا منهما خصائصه المميزة له وجعل لكل منهما وظائفه المحدودة وكل منهما مكمل للآخر تحت ظل من المودة والرحمة .. ومن هنا فلا يوجد خصام ولا شقاق ولا معركة حادة بين الرجل والمرأة بل مودة ورحمة .

المرأة ليست مكلفة بالعمل :

وحين يقول كارل ماركس : إن المرأة لابد وأن تعمل لتعيش – فهو يتكلم عن مجتمع عاش فيه – مجتمع بلا مثل ولا قيم ولا دين . يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى : « والمرأة حين عملت لم تخفف من شقاء الرجل وازدادت هى شقاء – فهو لم يأخذ نصف عملها فى الخارج – والتعلل بزيادة الدخل فيه مغالطة – فليس المفروض أن يحدد الإنسان المستوى الذى يعيش فيه وبعد ذلك يجمل الدخول عليه »

والمفروض أن يحدد مستواه على قدر دخله – وهذا ما جعل الناس ينحرفون – ولذلك فإن الإسلام لا يطلب من المرأة العمل – فإن احتاج إليها فى عمل لا يصلح فيه غيرها فينبغى أن يكون العمل مخففا والأجر مضاعفا .

ولكن المراة فى المجتمعات الحديثة كلها تعمل كالرجل وأجرها أقل وهذا العبء زيادة على الوضع الاجتماعى الطبيعى للمرأة – من حمل وولادة ورضاعة وشئون منزل – وقد أثر هذا على الأبناء فى تربيتهم .

يقول مسيو د. و. اس : « إن المرأة فى الشرق تحترم بنبل وكرم – وعلى العموم فلا أحد يستطيع أن يرفع يده عليها فى الطريق ولا يجرؤ جندى أن يسىء إلى أى من نساء الشعب – حتى فى أثناء الشغب – وفى الشرق يشمل الرجل زوجته بعين الرعاية ويبلغ الاعتناء بالأم درجة العبادة » .

وفى الشرق لا نجد رجلا يقوم على إلزام زوجته بالعمل – ليستفيد من كسبها وفى الشرق يدفع الرجل مهرا إلى زوجته .

مواطن الاختلاف

وتثار حول المرأة المسلمة شبهات لمحاولة إبعادها عن الإسلام – والسير فى طريق الغرب – رغم أن الغرب يلاقى أنواعا من المتاعب والمشكلات ومن ذلك قيادة البيت .

ومن وجهة نظر الإسلام فإن قيادة البيت والإنفاق على الأسرة عملية تنظيم ولا تسىء إلى إنسانية المرأة أو تنتقص من حقوقها – ولذلك يجب أن ينظر إليها فى إطار الأسرة ككل وكوحدة اجتماعية يقول الله تعالى : ﴿ **الرجالُ قَوَّامُون على النِساءِ بما فَضَّلَ الله بعضَهُم على بعضٍ وبما أنْفَقُوا من أموالِهم** ﴾ النساء/٣٤

وقيادة الرجل للأسرة قيادة رأى وتنفيذ لما تنتهى إليه الشورى فى الأسرة – وليست قيادة سيادة أو استبداد وإن كانت الأصوات العالية فى الغرب – وفى الشرق أحيانا – تحاول أن تصور ذلك والسبب : أن عنصر المودة والحب بين الزوجين قائم فى الأحوال السوية إلى درجة أن القرآن الكريم يصور هذه الصلة بقوله : ﴿ هنَّ لباسٌ لكُم وأنتمُ لباسٌ لهنَّ ﴾ البقرة ١٨٧

وقد أعدت المرأة لدورها – كما أعد الرجل لدوره – فالمرأة مزودة بالرقة والعطف وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة – وهذه المطالب ليست سطحية – بل غائرة فى التكوين العضوى والعصبى والعقلى والنفسى للمرأة – ودور الرجل الخشونة والصلابة واستخدام الوعى والتفكير قبل الحركة والاستجابة – وهو بطىء الانفعال – وذلك لأن وظائفه كلها – تحتاج إلى قدر من التروى وإعمال الفكر .

وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة وأفضل فى مجالها .

الشهادة :

ومن الشبهات التى تثار حول المرأة فى الإسلام : أن الرسول عليه السلام قال : « إنهن ناقصات عقل ودين » ويجيب على ذلك الشيخ محمد متولى الشعراوى فيقول : « العقل بمعنى الجهاز الذى يعقل وهو المخ بما فيه من مخيلات وحافظات وذاكرة – موجود عند الرجل

والمرأة – والرجل يستطيع بداية أن يتصرف فى مدركاته تصرفا يعطى له مزيدا من الإدراك » .

والعقل أيضا حصيلة تجارب وثقافة – وهو العقل المكتسب – والمرأة مفروض عليها أن تعتزل المجتمع فخبرتها فى هذه الناحية قليلة – ولذلك كانت الآية الكريمة الآتية موضحة السبب :
﴿ واستشهِدُوا شَهِيدَيْن من رِجَالِكُم فإنْ لَّم يكُونا رَجُلَيْن فرجُل وامرأتان ممن ترضونَ من الشهُّداء أن تضل إحداهما فتُذكِر إحداهُمَا الأُخرىَ ﴾ البقرة/٢٨٢

فالضلالة هنا – ضلالة اختصاص – ولذلك فإن المرأة تقبل شهادتها فى شئون النساء بدون شهادة الرجال – كالرضاعة والولادة – ولو اقتحم الرجال ميادين النساء فلن يعرفوا فيها – وكذا المعاملات فى ميادين الرجال إذا اقتحمتها النساء فهنا الضلالة – فالمرأة حين ترى شيئا فى الخارج فإنها لن تتغلغل فى المسألة – فقد يكون هناك شيء أو كلمة تخدش الحياء فتصرف نظرها عنه ...

أما الرجل فمفطور على الحياة – فليس له هذا التحفظ – فالشهادة من الأشياء التى تريد من الإنسان أن يلتقط كل ما يمت للشيء بصلة – والمرأة نظرا لوضعها فى أنوثتها ونفسها ومجتمعها قد لا تتابع الشيء وهذا ليس نقصا فيها – بل كمال فى جهتها ليعينها فى مهمتها فى الحياة .

ويقول الدكتور محمد البهى : « المرأة المعاصرة التى تصر على طلب المساواة بالرجل مساواة حرفية تتغاضى عن أخص خصائص طبيعة المرأة - وهى سرعة الاستجابة لمؤثرات خارجية ... هى أكثر من الرجال انعطافا وانحناء على الآخرين وأكثر تصديقا لأوضاعهم وأقوالهم - إذا ما بدت هذه الأوضاع والأقوال فى صورة جدية - فالمسافة الزمنية ضيقة عند المرأة بين غضبها وفرحها وانقباضها وانبساطها وإدبارها وإقبالها وتشددها وتلهفها ولو سوت شريعة الله بين الرجل والمرأة فى ذلك - رغم الفروق النوعية بينهما - لكانت المساواة على حساب العدل بين الناس - ولما كان فيها مصلحة تعود على المرأة - لأنها حينئذ تكون ضد خصائصها .

والمرأة تتعرض لمؤثرات ذاتية - تستجيب لها على نحو معين - من غير أن تكون لها إرادة فى الاستجابة - والوظائف العامة أحوج ما تكون إلى استقرار القاضى وعدم تعرضه لمؤثرات خارجية أو ذاتية تخضعه - حتما - لأوضاع نفسية أو بدنية - قد تكون متناقضة .

الميراث :

ومن الشبهات التى أثيرت حول المرأة فى الإسلام : أن الإسلام لم يساوها فى الميراث مع الرجل ونسوا أن المرأة فى الجاهلية كانت مجرد متاع يورث لا شأن لها ولا وزن ولا ترث كما يرث الرجل لأنها لا تشترك فى الدفاع عن حمى القبيلة وكثيرا ما كان العربى فى الجاهلية يضيق بولادة الأنثى - حتى أن بعضهم كان يسارع

إلى وأدها ﴿ وإذا بُشِّرَ أحدُهم بالأنثى ظَلَّ وجهُه مُسوداً وهو كظيم يتوارَى من القوم من سُوءِ ما بُشر به أيُمسِكُهُ عَلىَ هُونٍ أمْ يَدُسُّهُ فى الترابِ ألا ساءَ ما يَحكُمُونَ ﴾ النحل/٥٨-٥٩

ولقد كانت المرأة فى الجاهلية إذا تزوجت - ثم مات عنها زوجها - سارع أحد أبناء زوجها للزواج منها إذا أعجبته أو يمنعها من الزواج حتى تفتدى نفسها بمبلغ من المال وإلى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله : ﴿ يأيُّها الذين آمنُوا لا يحِلُ لكمُ أنْ ترِثُوا النساءَ كرهاً ولا تعضُلُوهُنَّ لتذهبُوا ببعضِ ما آتَيْتمُوُهُنَّ ﴾ النساء/١٩

كما لا يسمح لها بالتصرف فى مالها دون إذن من زوجها أو وليها ...

ثم جاء الإسلام ورد إليها اعتبارها فساواها فى الإنسانية بالرجل فقال النبى عليه السلام : « إنما النساء شقائق الرجال » وحرم وأد البنات وفرض على أوليائهن تعليمهن وأوجب على الرجل الإنفاق على المرأة ولو كان لها مال خاص - وكذلك الإنفاق على الأسرة - ولذلك فإنه لم يسو بينهما فى الميراث لأن المرأة ليست مكلفة بشىء بالنسبة للأسرة - فهى الكاسبة على هذا الوضع - وعدم التسوية بينهما يعتبر مؤشرا يرشدها إلى طريق الاحتفاظ باعتبارها البشرى وبخصائصها فى الأنوثة والأمومة والزوجية - أى بخصائصها كأنثى حتى لا تتحول إلى رجل أو شبه رجل - ومساواتها بالرجل اقتصاديا واستقلالها يعرضها لأزمات نفسية - فهو يضعف إحساسها بالأنوثة

– كما يضعف إحساسه بالامومة – ويجعل هناك تراخيا فى العلاقات الزوجية .

الطلاق :

ومن الشبهات التى تثار حول الإسلام أنه أباح الطلاق – فهو بذلك لا يحافظ على كيان الأسرة وأنه جعله فى يد الرجل وفى هذا هضم لحقوق المرأة – لعدم مساواتها بالرجل .

والإسلام دين واقعى : فهو قد أبعد عن الأسرة شبح الطلاق – لأنه مدمر لكيانها ولذلك جعله الله سبحانه وتعالى أبغض الحلال يقول الرسول عليه السلام « أبغضُ الحلالِ إلى اللهِ الطلاق » وطلب من الرجل أن يصبر على زوجته حتى عند الكراهية يقول الله تعالى : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف – فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾ النساء/١٩

وحين تتأزم العلاقة بين الزوجين – فإن الإسلام يطلب من الرجل سعة الصدر والتعقل – ويلزمه باتباع ما من شأنه أن يعيد للأسرة استقرارها .

فالزوج : عليه أولا أن يعظ زوجته وينصحها . فإن لم يفد فيمكنه أن يهجرها فى المضجع . فإن لم يفد فيمكنه أن يضربها ضربا غير مبرح .

وحين لا يؤدى ذلك إلى نتيجة يقوم حكم من أهله وحكم من أهلها بدراسة المشكلة من جميع نواحيها – ولهما أن يقررا بعد ذلك دوام العشرة الزوجية أو استحالتها – يقول الله تعالى : ﴿ **فابعثُوا حكماً من أهلِهِ وحكماً من أهلِهَا إن يُريدا إصلاحاً يوفِقِ الله بَينهما** ﴾ النساء/٣٥

وحتى الطلاق : لم يجعله الإسلام نهائيا من أول طلقة – واشترط أن يقع الطلاق فى حالة طهر وألا تخرج المرأة من بيت زوجها خلال العدة فى الطلقتين الأولى والثانية – فعسى أن تطمئن النفوس وتهدأ الأعصاب ويتذكر الزوجان ما بينهما من رباط مقدس فتعود المياه إلى مجاريها – كل هذا من أجل المحافظة على الوحدة الصغيرة للمجتمع – فإن لم يجد ذلك كله فالطلقة الثالثة التى تمثل نهاية المطاف يقول الله تعالى : ﴿ **الطلاقُ مرتانِ فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ** ﴾ البقرة ٢٢٩

ويلاحظ أن منع الطلاق نهائيا شيء مثالى – قد يصلح فكرا ولكن لا يمكنه تطبيقه فى المجتمعات البشرية التى نعيش فيها .

الطلاق عند غير المسلمين :

لقد مكث الناس فترات طويلة فى الغرب وفى الشرق غير الإسلامى – فترات طويلة ينفصلون فيها بدون طلاق – ويمارس كل طرف حريته الجنسية عن غير طريق الزواج – كما ذهبت جماعات من الناس يثبتون الزنا على أنفسهم – حين كان هو الأسلوب الوحيد

فى بعض المذاهب المسيحية للحصول على الطلاق وحين يتم لهم ما يريدون يعودون إلى دينهم السابق .

ولقد أصبح معروفا فى المجتمعات البشرية - أنه لابد من إباحة الطلاق فأقرته المجتمعات الغربية بل توسعت فيه إلى درجة هددت مجتمعاتها تهديدات مختلفة .

وقد نشرت مجلة « الايكونوميست » البريطانية فى عددها الصادر فى ١٩٧٨/٥/١٩ : لقد انتهى رئيس قسم الأسرة بالمحكمة العليا من اقتراح قانون بسيط للطلاق - مثل استراليا - يسمح بإنهاء أى زواج بعد أن يكون الزوجان قد انفصلا لمدة عام واحد .

حل واحد أوصت به لجنة فنية عام ١٩٧٢ - بالنسبة للأسر ذات أحد الوالدين : هو تكوين محاكم الأسرة وبما أن هذه المحاكم تتكون من قضاة متخصصين فى مشاكل الأسرة فسوف تصبح هذه المحاكم قادرة على علاج المشاكل المعقدة الناتجة عن الطلاق - مثل الوصاية وكفالة الأبناء .

ولكن السويد خطت خطوة أبعد من ذلك - فقد نقلت الطلاق من القاضى إلى الزوجين معا - فإذا ما اتفق الزوجان على الطلاق فإنه يتم بينهما دون حاجة إلى حكم القاضى - ويكفى تسجيله فى السجل المدنى وهم يعتبرون ذلك خطوة على طريق الحضارة فى تحرير المرأة الأوربية - لأنه يتجنب تعقيد الإجراءات القضائية من جهة - كما يتجنب الكشف عن أسرار الزوجية من جهة أخرى .

ولقد كان الطلاق حقا من حقوق الرجل – لأن المرأة تحكمها العاطفة – وحين مكنت المرأة من حق الطلاق فى الغرب أصبح يحدث لأتفه الأسباب – وفى أمريكا نسبة الطلاق ٤٨٪ عام ١٩٧٩ .

وهناك أسباب عجيبة للطلاق مثل – أن تطلب المرأة الطلاق لأن زوجها لا يحلق لحيته كل يوم ، أو لأنه لا يشركها فى شئونه .

ومع ذلك فلو اشترطت المرأة المسلمة أن تكون العصمة بيدها فإن ذلك من حقها .

ثم أن لها الحق فى أن تخلع نفسها وتخرج من العلاقة الزوجية .. يقول الله تعالى : ﴿ **فإن خفتمُ ألَّا يُقِيمَا حدودَ الله فلا جناحَ عَلَيْهِمَا فيما افتدتْ بِهِ** ﴾ البقرة ٢٢٩ – وقد فعلت امرأة ثابت بن قيس ذلك على عهد النبى ﷺ .

الاحتفاظ بالرجولة والأنوثة :

الرجل له وظيفة والمرأة لها وظيفة – وكل منهما متمم للآخر فلا يمكن الاستغناء عنهما .

فإذا أراد أى نوع منهما أن يتشبه بالنوع الآخر فإن ذلك لا يبيحه الإسلام – لأن هذا النوع الذى يريد التشبه بالنوع الآخر لن يحتفظ بكيان نفسه ولن يلحق بالنوع الآخر – ذلك لأن التوازن الأخلاق فى مجتمع ما شرط بمجموعة من العوامل المادية والأدبية – والملابس أحد هذه العوامل – فالشخص الذى يلبس لباساً رياضياً يشعر

بأن روحاً رياضية تسرى فى جسده ولو كان ضعيف البنية – والشاب الذى يلبس لباس الرجل العجوز يظهر أثر هذا اللباس على مشيته وفى تصرفاته ... ومن هنا كانت محافظة الإسلام على أن يظهر كل من الرجل والمرأة متميزا فى لباسه – عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ « لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » رواه البخارى وفى رواية « لعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل » رواه البخارى .

وقد ذكر رسول الله عليه الصلاة والسلام « إن ممن لعنوا فى الدنيا وأمنت الملائكة على لعنهم : رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء . وامرأة جعلها الله أنثى فترجلت وتشبهت بالرجال »

وقد رأى رسول الله ﷺ رجلا يلبس لبسة الحرير فقال : « إنما هذه لبسة من لاخلاق له » رواه الشيخان

وعن على رضى الله عنه قال : نهانى رسول الله ﷺ عن التختم بالذهب وعن لبس القسى (نوع من الحرير) وعن لبس المعصفر .

تكريم الإسلام للمرأة :

لقد كرم الإسلام المرأة تكريما لا نظير له فى مجتمع من المجتمعات فالرسول الكريم ﷺ يقول : « ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم » وقد كانت آخر عبارة قالها رسول الله ﷺ وهو على فراش

الموت « استوصوا بالنساء خيرا » وفى السنن عن معاذ بن جندة القشيرى أنه قال : يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه ؟ قال أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح . ويقول عمر بن الخطاب : « والله إنا كنا فى الجاهلية لا نعد النساء أمرا حتى أنزل الله فيهم ما أنزل وقسم لهن ما قسم » ويقول الرسول عليه السلام : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم » ويقول : « استوصوا بالنساء خيرا – فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه – فإن أردت أن تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج » رواه النسائى – وهو بذلك يريد أن يتحمل الرجال تصرفات النساء – ولقد كان عليه السلام قدوة فى ذلك .

والمرأة إذا كانت أما فقد كرمها الإسلام تكريما رائعا – يقول الله تعالى : ﴿ **ووصَّيْنَا الإنسانَ بوالدَيهِ حَمَلَتْهُ أمهُ وهناً على وهن وفصالُه فى عامينِ أنِ اشكُر لي ولِوَالديْكَ إليَّ المَصيرُ** ﴾ لقمان/١٤ – فقد طلب الإحسان بالوالدين ثم خص الأم ثم طلب أن يكون الشكر لله وللوالدين .. وقد سأل أحد الصحابة النبى عليه السلام « من أحق الناس بصحابتى ؟ قال : أمك – قال : ثم من ؟ قال : أمك – قال : ثم من ؟ قال : أمك – قال : ثم من ؟ قال : أبوك » فقد ذكر الأم ثلاث مرات ثم ذكر الأب بعد ذلك – لأن الأم قامت بنصيب كبير فى الحمل والوضع والإرضاع – ثم إن الأم بطبيعتها أضعف من الأب – ولذلك فهى فى حاجة إلى رعاية أكثر من الرجل .

ومن هنا فإننا نرى أنه من الخطا أن يراد للمراة ان تاخذ موقعا لم تهيأ له – لأنهم أرادوا لها أن تتمرد على دينها فى مجتمعنا الإسلامى تحت شعارات الحرية والمدنية والحضارة والتقدمية – وهى شعارات براقة تخفى وراءها ما تخفى من متاعب وتخلخل فى المجتمع الإنسانى – وسيؤدى ذلك إلى أنها ستشغل بالخارج فتترك أمريتها – وإذا خرجت المرأة إلى الشارع فإنها قد تخرج متبرجة وسيؤدى ذلك إلى انحراف المجتمع .

والإسلام ينشد للمرأة الكرامة فتكون إنسانا كريما يقوم على توفير الاعتبار البشرى وهذا الإنسان العالى يتبلور فى إلزام الرجل أبا أو إبنا أو أخا أو زوجا بالإنفاق على البنت والأم والأخت والزوجة – ويعفى المرأة من السعى للكسب والعمل خارج البيت – وبذلك يحفظ عليها أنوثتها التى هى العامل الأول فى لقاء الرجل بها وسعيه إليها – ثم قيامها بالمشاركة البناءة فى حياة زوجية تنشد السكن والاستقرار والمودة – ثم حرصها على دور الأمومة – وعنايتها بالطفل فى مرحلة طفولته المبكرة وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟** ﴾

الفهــــرس

الموضـــــوع	الصفحة